وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ميسان
كلية التربية الاساسية

مجلة ميسان للدراسات الاكاديمية

العلوم الانسانية والاجتماعية والتطبيقية

ISSN (Paper)- 1994-697X
(Online)- 2706-722X

المجلد 23 العدد 49 السنة 2024

مجلة ميسان
للدراسات الاكاديمية

العلوم الانسانية والاجتماعية والتطبيقية

كلية التربية الاساسية - جامعة ميسان - العراق

ISSN (Paper)-1994-697X
(Online)-2706-722X

مجلد (23) العدد (49) اذار (2024)

INTERNATIONAL STANDARD SERIAL NUMBER INTERNATIONAL CENTRE

OJS / PKP
www.misan-jas.com

IRAQI Academic Scientific Journals

doi

Crossref

CC BY NC ND

ORCID

OPEN ACCESS

journal.m.academy@uomisan.edu.iq

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق بغداد 1326 في 2009

ت	فهرس البحوث	الصفحة
1	**Impact of Vitamin D3 Deficiency on Liver and Adipose Tissue in Pregnant Mice** Amenah Salman Mohammed	12 – 1
2	**Diagnostic potential of salivary MMP-9 to differentiate between periodontal health and disease in smokers and non-smokers** Tamarah Adil Mohammed Hussein Omar Husham Ali	23 – 13
3	**Salivary IL-10 and TNF-α levels in Dental Caries Detection in Pediatric β-Thalassemia Major Patients** Ban Hazem Hassan Zainab Abduljabbar Athab	35 – 24
4	**Compare Robust Wilk's statistics Based on MM-estimator for the Multivariate Multiple Linear Regression** Thamer Warda Hussein Abdullah A. Ameen	46 - 36
5	**Curvature Inheritance Symmetry of C_9 −manifolds** Mohammed Y. Abass Humam T. S. Al-Attwani	58 – 47
6	**The issues of cultural expressions untranslatability from Iraqi Arabic into English language** Ahmed Mohamed Fahid	67 - 59
7	**Hematological and biochemical parameters changes associated with Coronavirus Disease (COVID-19) for some patients in Missan Province** Anas, S. Abuali	80 - 68
8	**Evaluation of the diagnostic efficacy of salivary malondialdehyde among smokers and nonsmokers with periodontal disease: A case-control study** Haneen Fahim Abdulqader Maha Sh. Mahmood	89 - 81
9	**Mapping the Slopes' Geomorphological Classification Using Geomatics Techniques: A Case Study of Zawita, Iraq** Mohammed Abbas Jaber Al-humairi Elaf Amer Majeed Alyasiri	104 - 90
10	**Enhancement methods of intrusion detection systems using artificial intelligence methods (TLBO)Algorithm.** Mohammed Saeed Hashim Al-Hammash Haitham Maarouf	112 - 105
11	**In Silico Interaction of Select Cardiovascular Drugs with the Developmental Signal Pathway Pax3** Sarah T. Al-Saray	124 - 113
12	**Influence of gingivitis in preterm delivery on serum biomarkers COX-2 and PGE-2** Shaden Husham Maddah Ghada Ibrahim Taha	135 - 125
13	**Detection and Identification of Chlamydia causing Ear infection by PCR.** Rabab Saleh Al.sajedy Ghaida'a . J. AL.Ghizzawi	143 - 136
14	**Metric areas and results of best periodic points** Maytham zaki oudah Al Behadili	152 - 144
15	**Structural and Optical Properties of Co doped CdS Nanoparticles Synthesised by Chemical Method** Uday Ali Sabeeh Al-Jarah Hadeel Salih Mahdi	157 - 153
16	**The occurrence of *Lactobacillus* and *Candida albicans* in patients with thyroid disorders** Riam Hassoun Harbi Maha Adel Mahmood	166 - 158

173 - 167	**An overview of the loquat's (Eriobotrya japonica) active components** Shahad Basheer Bahedh Dina Yousif Mohammed	17
183 - 174	**Study the mineralogy of Al-Faw soil in southern Iraq and determine swelling properties by indirect methods** Haneen.N. Abdalamer Huda.A.Daham	18
192 - 184	**The Role of pknF and fbpA as a virulence genes with Interleukin4-and 6, in the Pathogenesis of Tuberculosis** Samih Riyadh Faisal	19
203 - 193	**لغة الانفعال في النص الشعري التسعيني** أحمد عبد الكريم ياسين العزاوي	20
218 - 204	**الحماية الدستورية لحقوق الأطفال عديمي الجنسية في التعليم في التشريعات العراقية (دراسة مقارنة)** الباحث كامل خالد فهد هند علي محمد	21
230 – 219	**التنبؤ بالطلب على الخزين باستعمال الشبكات العصبية الاصطناعية مع تطبيق عملي** أيمن خليل اسماعيل لمياء محمد علي حميد	22
240 - 231	**بعض التقديرات المعلمية واللامعلمية لأنموذج الانحدار الدائري بالمحاكاة** رنا صادق نزر عمر عبد المحسن علي	23
258 - 241	**القتل في القران والسنة (دراسة في الاسباب والاثار والوقاية)** جاسب غازي رشك	24
271 - 259	**الطريقة الصوفية البكتاشية دراسة تحليلية** جبار ناصر يوسف	25
286 - 272	**السياسات التعليمية في الفكر الإسلامي مدخل لتعزيز البناء الاجتماعي** حامد هادي بدن	26
306 -287	**دراسة سندية لحديث: (أهل بيتي أمان لأمتي...) وفق المنهج الحديثي عند أهل السنّة** حكمت جارح صبر	27
321 - 307	**القياس والافصاح المحاسبي عن الانتاج المرئي وفق معايير المحاسبة الدولية** رائد حازم جودة خوله حسين حمدان	28
332 - 322	**اسس تطبيق فن الايكيبانا في دروس الإشغال الفنية بقسم التربية الفنية** سهاد جواد فرج الساكني	29
353 - 333	**تنبؤ العلاقات العامة بالأزمات عبر تطبيقات الذكاء الاصطناعي** ليث صبار جابر	30
374 - 354	**روايات أهل البيت (ع) في مدح وذم أهل الكوفة دراسة تحليلية** محمد جبار جاسم	31
385 - 375	**تجليات الصراع الوجودي في لامية اوس بن حجر** مشتاق طالب منعم	32
392 - 386	**ازدواجية الهوية الدينية وفهم الذات في رواية (عازف الغيوم) لعلي بدر أنموذجا** نور خليل علي	33
402 - 393	**مشروع الحلف الاسلامي السعودي وموقف الكيان الصهيوني (دراسة تحليلية في الوثائق الامريكية)** سعد مهدي جعفر	34

روايات أهل البيت (ع) في مدح وذم أهل الكوفة دراسة تحليلية

محمد جبار جاسم
كلية التربية/ جامعة ميسان

المستخلص:
يُعدُّ هذا البحث من الابحاث التحليلية لروايات صدرت عن أئمة معصومين (عليهم السلام) عند الشيعة الامامية الاثني عشرية في مدح أهل الكوفة وذمهم. وهذان الاسلوبان المدح والذم لا يُعدُّ تناقضا في مروياتهم (عليهم السلام) ولا يُعدُّ طعنا بكل أهل الكوفة، بل أنّ المدح والذم كل له معطياته من خلال رؤية أهل البيت (عليهم السلام) القرآنية التي أساسها القول(بقيادتهم الالهية الربانية) المنصوص عليها شرعاً. فمن شكك بها ثبت له الذم في مروياتهم، ومن ثبت على قيادتهم الربانية ولم يشكك بها ثبت في حقه المدح عنهم وثبت على عهد الله فيهم وقد سماهم الله بـ(الشاكرين) في كتابه الكريم. وهذا المدح لأهل الكوفة وذمهم مشابه تماماً بما صدر في كتاب الله العزيز من ذمٍ ومدح لما أحدثه صحابة رسول الله في معركة أحد حيث انقسموا على قسمين: قسم لم يلتزم بأمر القيادة الربانية للرسول واقتضى نزول آيات من القران الكريم تذمهم والقسم الاخر: الذين ثبتتوا مع الرسول(صلى الله عليه واله) واقتضت نزول آيات من الكتاب العزيز تمدحهم وفي واقعة واحدة.

كلمات مفتاحية: روايات، أهل البيت، مدح، وذمّ، أهل الكوفة.

ISSN (Paper) 1994-697X

ISSN (Online) 2706-722X

DOI: https://doi.org/10.54633/2333-023-049-031

Narrations of Ahl al-Bayt (peace be upon him) praising and disparaging the people of Kufa, an analytical study

Lectuer.Mohammed Jabbar Jassim Ali
College of Law-University of Missan
jbarallamymhmd@gmail.com
https://orcid.org/0009-0009-4538-0397

Abstract:
This research is considered one of the analytical studies of narrations issued by infallible imams (peace be upon them) among the Twelver Imami Shiites in praise and disparagement of the people of Kufa. These two methods of praise and blame are not considered a contradiction in their narrations (peace be upon them) and are not considered an insult to all the people of Kufa. Rather, praise and blame each have their reasons through the view of the People of the House (peace be upon them) in the Qur'an, the basis of which is (questioning their divine and divine leadership) stipulated by law and without it. Questioning it. Whoever doubts them will be proven to be condemned in their narrations, and whoever remains firm on their divine leadership and does not doubt it, his right to praise on their behalf will be proven and God's covenant with them will be confirmed. God has called them "the thankful" in His Noble Book.This praise of the people of Kufa and their condemnation is completely similar to what was issued in the Mighty Book of God in terms of condemnation and praise for what the Companions of the Messenger of God did in the Battle of Uhud, where they

were divided into two parts: one group that did not adhere to the command of the divine leadership of the Messenger and required the revelation of verses from the Holy Qur'an condemning them, and the other group: those who remained steadfast with the Messenger. (May God's prayers and peace be upon him and his family) and required the revelation of verses from the Mighty Book praising them in one incident.

Keywords: novels, Ahl al-Bayt, praise and disparagement, the people of Kufa

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلق الله البشير النذير والسراج المنير محمد بن عبد الله وعلى اهل بيته الاطهار الابرار (عليهم السلام), وبعد:

عاصر أهل البيت (عليهم السلام) أحقاباً زمنية محددة في ظلّ حكومات المسلمين المتعاقبة التي جرت خلالها أحداث كبيرة ومضطربة في المواقف بعموم البلاد الاسلامية، وهذه الاحداث قد توحي في اذهان الناس انطباعاً يُفهم من خلاله وجود تضاد في بعض مواقف أئمة أهل البيت (عليهم السلام) في تلك الحقبة خصوصاً في مدح أهل الكوفة وذمهم التي تمثل إحدى عواصم الحكم الاسلامي في حينها حتى شاع بين الناس أنّ أهل العراق هم أهل غدر ونفاق، وهذا الانطباع دفع الباحث الى دراسة هذا الموضوع.

ونتيجة لتضارب مواقف أهل الكوفة وتعارضها بسبب تعاقب الحكام واختلاف سياسة الحكم آنذاك الذي أضفى بظلاله على واقع المجتمع الاسلامي بشكل عام وعلى المجتمع الكوفي بشكل خاص, حيث انعكس ذلك على ظهور بعض التعارض في مواقف أهل الكوفة وآرائهم الفكرية والعقدية بين دعوة طائفة من المسلمين بالتمسك بوصية النبي (صلى الله عليه واله) في أهل بيته (عليهم السلام) والثبات عليها, وبين دعوة بعض اهلها المؤيدة لنظام الحكم الاسلامي والاموي القائم في ذلك الزمن الذي عرف بسياسته ومواقفه المناهضة لأهل البيت (عليهم السلام) ومن توجهاتهم العقدية والفكرية والسياسية.

وقد استمر هذا التذبذب في مواقف أهل الكوفة حتى القرن الرابع الى عصر الغيبة الكبرى للإمام الثاني عشر (عليه السلام) عند الشيعة الامامية الاثني عشرية، الذي رمى بظلمته المعتمة على اهل البيت (عليهم السلام) وكانت بداية تلك الأحداث بما جرى على الامام علي (عليه السلام) بعد وفاة النبي (صلى الله عليه واله) إلى عملية اغتياله في محراب مسجد شملته العناية الالهية وهو مسجد الكوفة ادت الى استشهاده، ثم سرت تلك العتمة حتى شملت سبطي رسول الله وسيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين (صلى الله عليه واله). وما جرى على الثقل الاصغر المتمثل باهل بيت النبوة (عليهم السلام) بأبشع جريمة مأساوية عرفها التاريخ في واقعة الطف بكربلاء.

وأغلب تلك المواقف والاحداث المضطربة جرت بأرض كوفان التي سعى اليها أئمة أهل البيت (عليهم السلام) لإقامة دولة الاسلام بعد أن تنكرت مدينة جدهم (صلى الله عليه واله) لهم. فوجدوا في أهل الكوفة مقومات أساسية لمعرف الحق والثبات عليه الا أنَّ حكام السلطة تنبهوا لسعي أهل البيت(عليهم السلام) نحو مدينة الكوفة فعملوا بكل ثقلهم لكي يحولوا بين أهل البيت وأهل الكوفة وقد نجحوا في هذا الامر في حدود ضيقة وفق عوامل وسياسات سيكشف عنها البحث في طياته. وعمل حكام السياسة على خلق مناخ تتوفر فيه كل عوامل التشكيك باهل البيت والوقوف ضدهم من خلال سنَّة استحدثوها فيهم اقتضت صدور روايات من أهل بيت النبي (صلى الله عليه واله) بعضها يمدحهم، وبعضها الأخر يذمّهم. وهذا الأمر كان الدافع الاساسي للباحث في كشف ملابساته واشكاليته والوقوف على معطياته واسبابه، لكي تتضح الاجابة عن السؤال الآتي: هل يوجد تعارض في مرويات أهل البيت ومواقفهم(عليهم السلام) اتجاه أهل الكوفة من حيث صدور المدح والذمّ بحقهم, وما دوافعه واسبابه؟. وقد استغل بعضهم ذلك الذمّ في هدم صورة أهل الكوفة خصوصاً واهل العراق عموماً مما كثر على الألسنة بأنَّ أهل الكوفة والعراق أهل غدر وشقاق ونفاق حتى نسبة مقولة أحد الطغاة وسفاكي الدماء (يا أهل العراق يا أهل الشقاق والنفاق) الى الامام علي بن ابي طالب(عليه السلام), واعتقد اغلب الناس جهلاً بأنَّها قوله (عليه السلام)!.

ISSN (Paper)-1994-697X (Online)-2706-722X

ولأجل الاجابة عن إشكالية البحث لابدَّ من البحث في أربعة أمور أساسية هي:

1. تحديد منطقة الكوفة جغرافياً (براً, وبحراً, ومرتفعاً, وجوفا, وثروة, وموقعاً) وما تأثيرها في علم السياسة وبناء استراتيجية المستقبل وهو علم الجيوسياسي أو ما يطلق عليه (الجيوبوليتيك).
2. بيان طبيعة التركيبة الاجتماعية لمجتمع الكوفة.
3. بيان دور الحاكم وسنته في مدينة الكوفة وأمصارها ودراسة تأثير سياسته في الجوانب الاجتماعية والتربوية والثقافية، والاقتصادية، والعسكرية.
4. بيان طبيعة المدح والذمّ لأهل الكوفة في مرويات اهل البيت (عليهم السلام) وتحليلها. ودراسة اسانيدها ومتونها ودلالتها من خلال موافقتها للكتاب والسنة حيث اعتمدت على مسلك الوثوق الذي هو الاساس المعتمد للأخذ بالطريق السندي وقبوله.

حيث اعتمد الباحث في موضوعه هذا على منهجين أحدهما: الوصفي والاخر تحليلي.

مدينة الكوفة بين العمق التاريخي والموقع الاستراتيجي:

1. الكوفة في معاجم اللغة:

قبل البحث عن مدينة الكوفة ومكانتها التاريخية والجيوسياسية لابدّ للباحث أولاً من تحرير معناها في المعاجم اللغوية وكتب البلدان.

فقد عُرِّفت في كتب اللغة والبلدان بانها:" الكاف والواو والفاء أصيل، يقولون: إنه يدل على استدارة في شيء. قالوا: تكوف الرمل استدار. قالوا: ولذلك سميت الكوفة. ويقولون وقعنا في كوفان وكوفان أي عناء ومشقة، كأنهم اشتقوا ذلك من الرمل المتكوف؛ لأن المشي فيه يعني"(1). وقال إسحاق:" إن فُلاناً لفي كَوَّفان أي في عِزّ ومَنَعَة"(2), والصريح من كلامه أن معنى كوفان تعني العزة والمنعة, ومنه قد يعرف السبب في نقل مركز دولة الخلافة اليها من قبل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) لوجود مقومات العزة والمنعة فيها ومما يرجح العزة والحرز والمنع قول كراع النمل:" والكُوْفَةُ: رَمْلَةٌ مستديرة، ومنه قولهم: كأنهم يَدُورون في كُوْفَانٍ، وكَوْفانٍ، أي: في أمرٍ حَزَبَهُمْ وجَمَعَهُمْ"(3). ومفردة (كوفان) هي الاسم القديم للكوفة(4).

ويبدو لنا مما تقدم أن كلمة الكوفة مشتقة من (كوفان) وهو الاسم القديم لها، حيث استعملوا كلمة (كوفان) في معنيين:

أحدهما: الشدة والمشقة.

والاخر: الحرز والعز والمنعة.

وقال الابادي:" الكوفة بالضمّ الرّملة الحمراء المستديرة أو كلّ رملة يخالطها حصباء ومدينة العراق الكبرى وقبّة الاسلام ودار هجرة المسلمين، مصرّها سعد بن أبي وقاص، وكان منزل نوح (عليهم السلام) وبنى مسجدها، سميّت بها لاستدارتها واجتماع النّاس بها، ويقال لها: كوفان ويفتح، وكوفة الجند لأنّه اختطَّت فيها خطط العرب أيّام عثمان خطَّطها السّائب بن الأقرع الثقفي، أو سميت بكوفان وهو جبل صغير فسهلوه واختطوا عليه"(5).

ولاريب إن قلنا: أنَّ القولين متضايفان؛ لأنَّ الحرز والعزة والمنعة تقتضي وجود مشقة فيمن قاصدها. وهناك عدة معان اخرى لا تخرج عن المعنيين.

2. الكوفة في كتب التاريخ والبلدان:

ذكر ابن جبير:" هي مدينة كبيرة عتيقة البناء، قد استولى الخراب على أكثرها، فالغامر منها أكثر من العامر. ومن أسباب خرابها قبيلة خفاجة المجاورة لها، فهي لا تزال تضربها، وكفاك بتعاقب الايام والليالي مُحيياً ومُفنياً. وبناء هذه المدينة بالآجر خاصة، ولا سور لها. والجامع العتيق آخرها مما يلي شرقي البلد، ولا عمارة تتصل به من جهة الشرق. وهو جامع كبير، في الجانب القبلي منه خمسة أبلطة،.... محراب محلق عليه بأعواد الساج مرتفع عن صحن البلاط كأنه مسجد صغير، وهو محراب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، رضي الله عنه، وفي ذلك الموضع ضربه الشقي اللعين عبد الرحمن بن ملجم بالسيف،... وفي الزاوية من آخر هذا البلاط القبلي، المتصل بآخر البلاط الغربي، شبيه مسجد صغير محلق عليه أيضا بأعواد الساج، هو موضع مفار التنور الذي كان آية لنوح (عليه السلام)، وفي ظهره، خارج المسجد، بيته الذي كان فيه، وفي ظهره بيت

www.misan-jas.com ISSN (Paper)-1994-697X (Online)-2706-722X

آخر يقال: إنَّه كان متعبد إدريس، صلى الله عليه وسلم ويتصل بهما فضاء متصل بالجدار القبلي من المسجد، يقال إنه منشأ السفينة. ومع آخر هذا الفضاء دار علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، والبيت الذي غسل فيه. ويتصل به بيت يقال إنه كان بيت ابنة نوح، صلى الله عليه وسلم."(6).

وذكر الرحالة ابن بطوطة:" وهي إحدى أمهات البلاد العراقية المتميزة فيها بفضل المزية مثوى الصحابة والتابعين ومنزل العلماء والصالحين وحضرة علي بن أبي طالب أمير المؤمنين.... وفي الجهة الشرقية من الجامع بيت مرتفع يصعد إليه قبر مسلم بن عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه وبمقربة منه خارج المسجد قبر عاتكة وسكينة بنتي الحسين (عليه السلام) . وأما قصر الإمارة بالكوفة الذي بناه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فلم يبق إلا أساسه. والفرات من الكوفة على مسافة نصف فرسخ في الجانب الشرقي منها وهو منتظم بحدائق النخل الملتفة المتصل بعضها ببعض ورأيت بغربي جبانة الكوفة موضعاً مسوداً شديد السواد في بسيط أبيض فأخبرت أنه قبر الشقي ابن ملجم"(7).

من كلام ابن جبير وابن بطوطة يتضح لنا أن مدينة الكوفة مدينة تتميز بالعمق التاريخي والاثري الخصب بالمعالم الاثرية والعلمية والمقامات الدينية ومسكن لبعض أنبياء الله(عليهم السلام) لا سيما مسجدها الذي هو أعظم بقاع الارض الاربعة التي شملتها عناية الله جل جلاله, قال البرقي:" إن أول من أسس مسجد الكوفة وبناه هو آدم (عليه السلام) كما هو المشهور والمأثور ، ولعل الملائكة فيما قبل بنته وإن كان لم يذكر أحد ذلك من أهل الأخبار ، لكن بمقتضى كلام جبرئيل للنبي : إني رأيته خراباً ورأيته عمراناً ، أن تكون عمرّته الملائكة بأمر الله تعالى ثم عمرّه آدم (عليه السلام)"(8). فيُعدُّ المسجد هو الاساس لمركز المدينة ومنتهى شوارعها ومركزا للأحياء المجاورة له وهذا ما نفهمه من سيرة النبي (صلى الله عليه واله) عند هجرته الى المدينة المنورة فأول عمل قام به بناء مسجد لها وهو مسجد المدينة، ومن ثم مسجد قباء وقد عَدّهُ (صلى الله عليه واله) مركزاً للمحلات السكنية وغيرها أيضاً ، فاختطّ في كل محلة مسجداً (9).

وذكر بعض المعاصرين عن مدينة الكوفة, فقال:" وأبان الفتوحات الاسلامية التي زحفت على الفرس والروم، والتي بدا نشاطها منذ عهد الرسول(صلى الله عليه واله)، .... وبعد استقرار الحروب، رأى المسلمون حاجتهم إلى اتخاذ موطن لهم في هذه البلاد الغريبة والبعيدة عن بلادهم، فأقام البعض منهم في الكوفة. فبعد أن اسقط العرب– المسلمون المدائن عاصمة الإمبراطورية الساسانية، وثبتت اقدامهم في العراق، أرادوا أن يبنوا لهم دار هجرة تكون محلاً لإقامتهم، ومعسكراً لحامياتهم التي بها يوطدون سلطانهم على العراق، ومن الواضح أن الأسباب التي دفعت المسلمين للاستيطان في البلدان المفتوحة، عديدة ولا تنحصر في سبب واحد، فمنها أسباب دينية، ومعيشية، واجتماعية وغيرها. وكان المسلمون قد أقاموا بالمدائن أول الأمر وبنوا بها المساجد غير أنهم استوخموها واستوبأوها، وكتب عمر إلى سعد بن أبي وقاص بضرورة تركها وارتياد غيرها، ويروى أن سعداً ارتاد أماكن مختلفة فلم ترقه، أما لعدم صلاحها للأغراض الحربية، أو لعدم توافر الشروط الصحية فيها، وأخيرا اهتدوا إلى ارض الكوفة غربي الفرات، التي توفر فيها الشروط المذكورة،... واختلفت الروايات في تاريخ بناء الكوفة ولعل الأكثر يرجح انها بنيت عام(17) هجرية"(10).

3. مكانتها في كتاب الله والسنّة:

روى العاملي بسنده عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: "قال أمير المؤمنين(عليه السلام) : { وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ}(المؤمنون:50), قال: الربوة الكوفة، والقرار المسجد، والمعين: الفرات"(11). وروى أيضاً بسنده عن أبي بكر الحضرمي، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال :" قلت له: أي البقاع أفضل بعد حرم الله وحرم رسوله (صلى الله عليه واله)؟, فقال: الكوفة، يا أبا بكر هي الزكية الطاهرة، فيها قبور النبيين المرسلين وغير المرسلين والأوصياء الصادقين"(12). وأخرج ابن سعد عن الأصبغ بن نباته عن علي(عليه السلام), قال:" الكوفة جمجمة الاسلام وكنز الايمان وسيف الله ورمحه يضعه حيث يشاء وأيم الله لينصرن الله بأهلها في مشارق الأرض ومغاربها كما انتصر"(13).

وهذا الكلام وما سبقه يعزز موقع الكوفة الجغرافي مما يجعلها مدينة استراتيجية مميزة من كل نواحيها الدينية والاجتماعية والاقتصادية والطبيعية والصحية، والعسكرية.

ISSN (Paper)-1994-697X (Online)-2706-722X

4. جيوسياسية الكوفة:

مدينة الكوفة بموقعها المميز الذي يطلق عليه بالعلم الحديث الجيوسياسي أي (الجغرافية السياسية) وهذه الميزة والمكانة لتلك المدينة العريقة جعلها مبتغى الطالبين والطامعين. "ومصطلح الجيوسياسية (أو الجيوبوليتيك) فهو مصطلح تقليدي ينطبق في المقام الأول على تأثير الجغرافيا على السياسة، فهو علم دراسة تأثير الأرض (برها وبحرها ومرتفعاتها وجوفها وثرواتها وموقعها) على السياسة في مقابل مسعى السياسة للاستفادة من هذه المميزات وفق منظور مستقبلي أضاف إلى الجيوبوليتيك فرع الجيواستراتيجيا. ولكنه تطور ليستخدم على مدى القرن الماضي ليشمل دلالات أوسع، وهو يشير تقليديًا إلى الروابط والعلاقات السببية بين السلطة السياسية والحيز الجغرافي، في شروط محددة... ودراسة الجغرافيا السياسية ينطوي على تحليل الجغرافيا والتاريخ والعلوم الاجتماعية مع سياسة المكان وأنماط بمقاييس مختلفة (بدءً من مستوى الدولة على الصعيد الدولي)"(14).

ووفق هذا المصطلح وما تقدمه نكتشف أن الكوفة بموقعها الجغرافي المتميز فيها كل امكانيات ومقومات إقامة الدولة النموذجية لقيادة المجتمع والدول والامصار.

5. الموقع الجغرافي لمدينة الكوفة:

ذكر اسحاق الكوفة فقال: "هي في الإقليم الثالث. وبعدها عن خط المغرب تسع وستون درجة ونصف. وعن خط الاستواء إحدى وثلاثون درجة وثلثان. وهي على الفرات وهواؤها صحيح وماؤها عذب. والكوفة مدينة العراق الكبرى، وقبة الإسلام، ودار هجرة المسلمين، وهي خطط لقبائل العرب. وبالكوفة قبر أمير المؤمنين عليّ صلوات الله عليه. مصّرها سعد بن أبي وقاص في خلافة ابن الخطاب وهي أول مدينة اختطها المسلمون بعد مدينة البصرة "(15).

وحسب معطيات علوم الجغرافية:" تقع مدينة الكوفة على جانب الفرات الأوسط غرباً موضعها جزءاً سهلياً من الضفة اليمنى لنهر الفرات الاوسط (شط الهندية القديم) وإلى الجهة الشمالية الشرقية من مدينة الحيرة شرق مدينة النجف بنحو: (10) كم. ويحدها من الشمال ناحية الكفل (محافظة بابل) ومن الشرق ناحية السنية, وناحية الصلاحية(محافظة الديوانية) ومن الغرب كري سعد، ومن الجنوب قضاء أبي صخير، وناحية الحيرة. وبالنسبة للعاصمة بغداد فتقع مدينة الكوفة غربها بنحو:(156)كم، وجنوبي مدينة كربلاء بستين كيلومتر. أرضها سهلة عالية ترتفع المدينة عن سطح البحر بنحو: (22)م، وشاطئها الغربي أعلى من الشرقي بستة أمتار تقريباً، مما يجعلها في مأمن من الفيضانات قديماً وحديثاً، وكلما سرنا غرباً ارتفعت الأرض عن سطح البحر تدريجاً لتصل إلى ستين متراً ونصف المتر، ثم تنحدر انحداراً شديداً نحو الجنوب الغربي لتمتد إلى بحيرة مالحة ضحلة عرفت ببحر النجف غرباً "(16). فكل هذه الامور جعلت المدينة متميزة حيث طغت عليها معالم الجيوسياسية.

بيان طبيعة التركيبة الاجتماعية والنفسية لمجتمع الكوفة:

وبعد بيان موقعها الجغرافي وحدودها الطبيعية، سنتناول في هذه السطور طبيعة مجتمع الكوفة وتركيبته. ولذا تناولت العديد من الكتب ذلك, حيث ذكرت تلك المصادر عدة أسباب وتفسيرات لذلك المجتمع وتركيبته, صرح البرقي تحت عنوان (نفسية أهل الكوفة), قائلاً :"لم يسجل التاريخ لرجالات الكوفة– بالرغم من شهرة هذه المدينة العظيمة وموقعها التاريخي الكبير في بدء تمصيرها، وكونها مرتكز الخلافة الكبرى ردحاً من الزمن ونبوغ رجالات الأمة فيها– مآثر جديرة بالتقدير، وكأن من انتحى نحوها يوم مصّرت إنما تبوأها ليبث روح الشقاق، أو يزرع بأرجائها بذور النفاق، ويخبئ بين فجاجها جراثيم الفساد لذلك لمّا أينعت وبسقت أغصانها لم يشهد فيها غير الإنثيال عن الحق وأهله، والميل إلى الجور، والإصاخة إلى داعية ضلال. هذه نفسية القوم عرفوا بها منذ العهد العلوي فيوم كان يستنصرهم علي(عليه السلام) في وقعة الجمل ويخذلهم عنه أبو موسى الأشعري، وما كان نفيرهم إليه إلاّ بعد هن وهن..."(8).

وذكر بعضهم طبيعة المجتمع الكوفي وتركيبته، فقال: "المجتمع الكوفي المعقد المتكون من :

أ– التركيبة القبلية والانقياد الأعمى إلى زعمائها.

ب– التباين المذهبي والعقائدي.

www.misan-jas.com ISSN (Paper)-1994-697X (Online)-2706-722X

ت- أصحاب الأطماع السياسية.

ث- التفاوت الطبقي والاختلاف القومي.

ج- بقايا حرب القادسية وأولادهم جيش الحمر.

ح- بقايا الخوارج وأولادهم والمنتمين إليهم.

2 - طغيان معاوية واستبداده:

أ- دسائسه ومؤامراته.

ب- دهائه وعدم تورعه.

ت- وعود معاوية رؤساء القبائل وزعمائهم بالأموال والمنصب إن هم قتلوا الإمام الحسن (ع)... "(17).

وكل هذه الاسباب وغيرها تُعدُّ أسباباً ثانوية لها مسبباتها الرئيسية التي عبر عنها البدري نقلاً عن استاذه محمد باقر الصدر، قائلاً: " فهو ما بينه أستاذنا السيد الشهيد حول المرض الذي كانت الأمة مبتلاة به، وهو مرض الشك، حيث كانت الأمة تشك في طبيعة الصراع الذي كان ناشباً بين الامام الحسن (عليه السلام) ومعاوية وتصوره صراعاً من اجل حيازة السلطة وليس صراعاً بين الحق ممثلاً بالإمام الحسن(عليه السلام) والباطل ممثلا بمعاوية"(18).

وبين البدري رؤية استاذه محمد باقر الصدر، فقال :" تصاب المجتمعات بعدة أمراض كما يصاب الأفراد ، ومن الأمراض التي أصيب بها المجتمع الإسلامي أبان إمامة الحسن (عليه السلام) هو مرض (الشك في القيادة) وهذا الداء ظهر في أواخر حياة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام). حيث واجه أيام خلافته عدة حروب ذهب ضحيتها عشرات الآلاف من أبناء الأمة، فأخذ الناس يشكون هل أن المعارك التي تخاض معارك رسالية أم أنَّها معارك قبلية أو شخصية ؟!"(18). وهو تشخيص يحمل من الدقة الشيء الكثير. ولكن يرى الباحث أنَّ بداية ظهور ذلك المرض كان في زمن الرسول (صلى الله عليه واله). وهذا ما لم يوضحه الشهيد الصدر في تلك الرؤية المنقولة عنه والاسباب الحقيقية والاساسية التي وفرت البيئة المناسبة التي تسببت بانتشار ذلك المرض في مجتمعنا الاسلامي. واستعرض الباحث الادلة في بيان أول ظهور لذلك المرض، حيث رجح أنَّ أوّل ظهوره في معركة أحد. ورجح السبب الرئيسي الذي أدى الى انتشاره بـ(سنَّة الحاكم) المستحدثه حين وفاة رسول الله(صلى الله عليه واله). وهذا الترجيح تعززه معطيات الكتاب والسنَّة وسيرة الصحابة الأتية، مما يحدد لنا الأرض الصلبة التي نستند عليها في سبر أغوار البحث المتعلق في بين المراد من مدح أهل الكوفة وذمهم في مرويات اهل البيت (عليهم السلام).

1. المعطيات القرآنية:

قال تعالى:{ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ}(آل عمران:144). ويرى الباحث ضرورة استعراض أسباب نزول الآية وبيان فائدته للكشف عن معطياته. وفي سياق بيان فائدة معرفة أسباب النزول، قال معرفة : "لمعرفة شأن النزول دورها الخطير في فهم معاني القرآن الكريم وحل معضلات التفسير في كلا مجالي الأصول والفروع ..، أنها ترفع النقاب عن وجوه كثيرة من الآيات ، نزلت لتعالج مشكلة في وقتها لكنها في نفس الوقت ذات وجه عام تعالج مشاكل الأمة عبر الحياة...، وربما كان الوقوف على الحادثة الأولى والمناسبة الأولى التي استدعت نزولها، من خير الوسائل لكشف الإبهام عن وجه الآية، أنَّ فيها الإشارة لا محالة إلى تلك الواقعة بالذات"(19). ويرى محمد باقر الصدر:" لمعرفة أسباب النزول أثر كبير في فهم الآية وتعرُف أسباب التعبير فيها؛ لأنّ النص القرآني المرتبط بسبب معين للنزول تجئ صياغته وطريقة التعبير فيه وفقاً لما يقتضيه ذلك السبب، فما لم يعرف ويحدد قد تبقى أسرار الصياغة والتعبير غامضة فيه"(20). وبعد هذا البيان لأسباب النزول سنشرع في بيان معطياته.

www.misan-jas.com ISSN (Paper)-1994-697X (Online)-2706-722X

معطيات أسباب النزول:

روى ابن زمنين بسنده عن قتادة في سبب نزول الآية(144) من سورة آل عمران, فقال:" قال: ذلك يوم أحد حين أصابهم القرح والقتل, فقال أناس منهم : لو كان نبياً ما قتل!, وقال ناس من علّية أصحاب النبي عليه السلام: قاتلوا على ما قاتل عليه نبيكم؛ حتى يفتح الله لكم أو تلحقوا به, فقال الله:{ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ }(آل عمران:144)"(21).

وذكر السمعاني سبب نزول الآية, فقال: " سبب نزول الآية أنَّ المسلمين يوم أحد لما وقعت الهزيمة عليهم، ووقع القتل فيهم؛ صاح الشيطان- عليه ما يستحق- : ألا إن محمدا[قد]قتل، فقال المسلمون: خذوا لنا الأمان من أبي سفيان، وقال من كان في قلبه نفاق: ارجعوا إلى دينكم الأول، فإن محمداً قد قتل؛ فنزل قوله:{ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ }(آل عمران:144)"(22).

ولم يخرج محدثو الشيعة ومفسروهم عن سياق ما تقدم، فقد روى الكليني بسنده عن أبي عبد الله (عليه السلام), قال: " لما انهزم الناس يوم أحد عن النبي (صلى الله عليه واله) انصرف إليهم بوجهه وهو يقول : أنا محمد أنا رسول الله لم أقتل ولم أمت، فالتفت إليه فلان وفلان فقالا: الآن يسخر بنا أيضاً وقد هزمنا, وبقي معه علي (عليه السلام) وسماك بن خرشة أبو دجانة رحمه الله"(23).

وذكر الكوفي سبب نزول الآية, قائلاً: "...ثم أنَّ الله تعالى هزم جمع المشركين وتشتت أمرهم فمضى رسول الله (صلى الله عليه واله) وسلم وعلي بين يديه ومعه اللواء قد خضبه بالدم وأبو دجانة خلفه فلما أشرف على المدينة فإذا نساء الأنصار يبكين رسول الله (صلى الله عليه واله) فلما نظروا إلى رسول الله (صلى الله عليه واله) استقبله أهل المدينة بأجمعهم ومال رسول الله(صلى الله عليه واله) إلى المسجد ونظر إليه الناس فتضرعوا إلى الله وإلى رسوله وأقروا بالذنب وطلبوا التوبة فأنزل الله فيهم قرآنا يعيبهم بالبغي الذي كان منهم وذلك قوله:{وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ}(آل عمران:143), يقول: قد عاينتم الموت والعدو فلم نقضتم العهد وجزعتم من الموت وقد عاهدتم الله أن لا تنهزموا حتى قال بعضكم قتل محمد (صلى الله عليه واله)، فأنزل الله تعالى: { **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ** }(آل عمران:144)"(24).

وكل روايات أسباب النزول تؤكد حقيقة أنَّ مِنَ الصحابة من شكك في قيادة النبي(صلى الله عليه واله) مما جعلهم ينقسموا على مجاميع خمس, وكانت ابرز عباراتهم يوم أحد هي:

العبارة الاولى: قالوا:" لو كان نبياً ما قتل؟!".

العبارة الثانية: "خذوا لنا الأمان من أبي سفيان، وقال من كان في قلبه نفاق: ارجعوا إلى دينكم الأول".

العبارة الثالثة: فقالا: الآن يسخر بنا أيضاً وقد هزمنا".

العبارة الرابعة: "قد عاينتم الموت والعدو فلم نقضتم العهد...وقد عاهدتم الله أن لا تنهزموا". هذه العبارة التي فيها عتب شديد وكل هذه العبارات الاخرى المتقدمة هدفها التشكيك في القيادة.

والمجموعة الخامسة: قالت:" قاتلوا على ما قاتل عليه نبيكم؛ حتى يفتح الله لكم أو تلحقوا به" وهي التي ثبتت مع النبي (صلى الله عليه واله) واقتضى نزول آية قرآنية بمدح الذين استشهدوا والذين بقوا أحياء ولم ينكثوا عهدهم وبيعتهم للرسول ولم يبدلوا تبديلاً.

وهذه المعطيات لأسباب النزول تكشف أنَّ الشك كان في قيادة النبي(صلى الله عليه واله) الصالحة حيث اقتضى نزول آيات قرآنية أعاب الله سبحانه وتعالى على المنقلبين على الاعقاب لموقفهم المتخاذل, وقد ذمّهم وبخهم على فعلتهم تلك, فقال تعالى:{وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ} (آل عمران:143). وذمَّهم في أية أخرى بقوله تعالى:{ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}(آل عمران:153), ففسر النحاس قوله تعالى:{ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ}, فقال:" أنّهم غموا النبي صلى الله عليه وسلم في مخالفتهم أياه؛ لأنّه أمرهم أن يثبتوا فخالفوا أمره. فأثابهم الله بذلك الغم غمهم بالنبي صلى الله عليه وسلم"(25).

www.misan-jas.com ISSN (Paper)-1994-697X (Online)-2706-722X

وقال الرازي :"...[و] المعنى أثابكم غمَّ الهزيمة من غمكم النبي صلى الله عليه وسلم بسبب مخالفته، ليكون غمكم بأن خالفتموه فقط، ...؛ لان الغمَّ الحاصل بسبب الاقدام على المعصية ينسي الغم الحاصل بسبب مصائب الدنيا"(26). وعليه ذمَّ الله المنقلبين على الاعقاب بقوله تعالى:{ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ} عقاباً لهم بغمّ النبي(صلى الله عليه واله) نتيجة مخالفة هؤلاء لأوامره وعدم طاعته(صلى الله عليه واله). وقد تكرر هذا الموقف حين أمرهم النبي(صلى الله عليه واله) بصحيفة ودواة ليكتب لهم كتابا لن يضلوا بعده أبداً, وسيأتي بيانه في معطيات السنّة إن شاء الله.

ويظهر هذا الذمّ من الاساليب البلاغية اجتمعت في الآية (144) من سورة آل عمران الثلاثة، أسلوب القصر، والاستفهام، والشرط، وهذا الاجتماع للأساليب الثلاثة يدل على حدث خطير وجلل أشارت اليه تلك الآية المباركة.

فالأوّل: القصر وهو بينٌ في قوله تعالى:{ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ**} بمعنى أنه مقصور على الرسالة, لا يتعداها إلى التبري من الموت الذي استعظموه والذي هو من شأن الله سبحانه وتعالى وهو قول جملة من المفسرين(27).وهذا الأسلوب من القصر الذي يتضمن النفي والاستثناء الأصل فيه التأكيد لصراحته فيستعمل للإنكار الشديد على قولٍ أو فعل وهو أقوى من الأساليب الأخرى للقصر. وحصر بعضهم اسلوب القصر الوارد في الآية محل البحث بأسلوب قصر القلب، فقال: " فان كانوا اعتقدوا أنه لا يموت كما مات الرسل قبله لمغايرته لهم، فهو قصر قلب لإثبات ضد ما اعتقدوه من الخلود...." (28). وإنَّ القصر الذي يتضمن النفي والاستثناء هو أقوى من الأساليب الأخرى له، والأصل فيه التأكيد لصراحته فيستعمل للإنكار الشديد على قولٍ أو فعلٍ حدث في زمنٍ ما.

والثاني: الاستفهام وهو بينٌ أيضا في قوله تعالى:{ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ}(آل عمران:144)؛ لأنَّ اسلوب الاستفهام له دلالتان:

(أ) الوضعية التي تتضمن طلب الفهم نتيجة لجهل المستفهم عند السؤال وهذه الدلالة يدفعها اسلوب الاستفهام الوارد في تلك الآية وهي همزة الاستفهام وجهة صدور الخطاب؛ لأنَّ الله سبحانه وتعالى يستحيل عليه الجهل!.

(ب) دلالة مجازية والمستفهم هنا ليس بحاجة الى فهم شيء من المخاطب بالاستفهام بل يريد أن ينشئ معاني يقتضيها المقام قاصداً إعلام المخاطب بها. وعلى هذا الاساس يكون الاستفهام هنا استفهاماً مجازياً؛ لأنَّ الاستفهام الوضعي لا يجوز عليه سبحانه وتعالى مطلقاً. قال المطعني في بيان معنى الاستفهام المجازي نقلاً عن الجرجاني, قوله: "وأعلم أن الهمزة فيما ذكرنا, تقرير بفعل قد كان وإنكار له لم كان, وتوبيخ لفاعله عليه"(28).

والثالث: الشرط وهو بين في قوله تعالى: {أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ}(آل عمران:144). والجملة الشرطية في هذه الآية يراد منها الإخبار في حدوث نسبة بين طرفيها في زمن الحال والاستقبال، وان كانت تدلّ على غرض التوبيخ؛ لأنَّ الانقلاب وإن كانت ارهاصته حدثت في معركة أحد لكن تحققه بشكل فعلي متوقف على موت الرسول (صلى الله عليه واله) أو قتله وهذا لم يتحقق بشكله الفعلي بمعركة أحد, ولكن اتضح موقف جيش الرسول (صلى الله عليه واله) بمجرد سماع أنه قتل!. وشرطية الآية(144) من سورة آل عمران, تدل على انتشار التشكيك بالقيادة بعد موت النبي أو قتله فعلاً. وهذا التشكيك بالقيادة الصالحة يتطلب السيطرة على زمان الحكم لكي تتحقق سنَّة الحاكم ونفوذه.

وعلى هذا الاساس أنَّ مرض التشكيك في قيادة النبي (صلى الله عليه واله) حدثت من قبل بعض الصحابة الذين لم يخالط الايمان قلوبهم. وعليه نجزم أنّ ظهور مرض التشكك بالقيادة بدأ منذ واقعة أحد وكانت الارهاصة الاولى له الذي لازمه التكذيب والانقلاب على الاعقاب. ذكر ابن القيم:" أَنّ وَقْعَةَ أُحُدٍ كَانَتْ مُقَدّمَةً وَإِرْهَاصًا بَيْنَ يَدَيْ مَوْتِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَثَبّتَهُمْ وَوَبّخَهُمْ عَلَى انْقِلَابِهِمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ إنْ مَاتَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَوْ قُتِلَ"(29). ولكن المشيئة الالهية بعد كشف مخطط الانقلاب اقتضت بقاء النبي (صلى الله عليه واله) على قيد الحياة فكانت الرادع الكبير في إفشاله. وكشف المخطط للنبي(صلى الله عليه واله) ومعالجته يؤكد الضرورة بوجود النص الالهي على خليفة النبي (صلى الله عليه واله) ويجب اعلانه في مواضع عدة لكي تتهيأ الامور بعد موته (صلى الله عليه واله). وتكون هذه القيادة الألهية من سنخ قيادة النبي(صلى الله عليه واله) لكنها دون مرتبة النبوة والرسالة وأهم وظائفها حفظ الكتاب والسنَّة بعد الخاتم(صلى الله عليه واله) والحكم بالحق والعدل بين الناس. وهذه القيادة الالهية تعدُّ ضرورة بوجودها المادي والمعنوي في منع الانقلاب على الاعقاب يوم أحد فكذلك

تكون ضرورية الوجود بعد موته أو قتله (صلى الله عليه واله). وهذه الضرورة جسدها موسى (عليه السلام) عندما طلب من الله أن يجعل له وزيراً من أهله. قال الله تعالى: { وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي* هَارُونَ أَخِي* اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي*وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي } (طه:29-32). وهذه الآية صريحة بأن سنَّة تعيين الخليفة بيد الله سبحانه وتعالى حصرا. وهي سنَّة إلهية مستمرة غير قابلة للتبديل والتحويل حتى بعد الرسول (صلى الله عليه واله). ويؤكد ذلك ما روي عنه(صلى الله عليه واله), أنَّه قَالَ لعلي(عليه السلام): "أَوَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، غَيْرَ أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي"(30). وفيه تفاصيل مهمة سنذكرها عند التطرق لسيرة الصحابي سعد بن أبي وقاص والي الكوفة.

الخلاصة:

على الرغم من وجود قيادة النبي (صلى الله عليه واله) المعصومة والحكيمة التي لم يعرف تاريخ البشرية لها من نظير مطلقاً تدير شؤون دولة الاسلام وتتولى تربية مجتمعها وفق العدل والحق الالهي الا أنَّ ذلك لم يشفع لبعض صحابة النبي في ذلك المجتمع من التمرد على أوامرها وعصيانها!. فكان لدى بعض الصحابة قابلية الانقلاب على الاعقاب بمجرد أن سمعوا بقتل النبي (صلى الله عليه واله) ولكن اقتضت حكمة الله بقاءه حيا للكشف وأبطل ذلك المخطط، ولكن السؤال الذي ينبغي طرحه هنا: هل بقي هذا الاستعداد في نفوسهم للانقلاب على الاعقاب؟ هذا ما يتم الكشف عنه في طيات البحث إن شاء الله تعالى. وفي واقعة أحد قد صدر بحقّ المنقلبين ذمّ والثابتين مدح من قبل الله سبحانه ورسوله الكريم.

2. معطيات السنة الشريفة:

وقد يتبادر الى الذهن السؤال الآتي: هل كشفت سنة النبي(صلى الله عليه واله) مخطط الانقلاب المتمثل كالتشكيك في القيادة الربانية الصالحة كما هو في الكتاب؟.

1. حديث الصحيفة والدواة:

روى احمد بسنده عن ابن عباس, قال:" لما حضرت رسولَ الله (صلى الله عليه وسلم) الوفاةُ قال: "هَلُمَّ أكتبْ لكم كتاباً لن تضلوا بعده"، وفي البيت رجال، فيهم عمر بن الخطاب، فقال عمر: إنَّ رسول الله صلي الله عليه وسلم قد غَلَبه الوجَعُ، وعندكم القرآنُ حسبُنا كتابُ الله، قال: فاختلف أهلُ البيت فاختصموا، فمنهم من يقول: يكتبُ لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم أو قال: قَرِّبوا يكتبْ لكمِ رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغط والاختلاف، وغُمَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "قوموا عنِّي، فكان ابن عباس يقول: إنَّ الرزية كلَّ الرَّزِيّة ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب، من اختلافهم ولَغَطهم".(31).

تحليل الحديث:

أوّلاً: أخرج الحديث جملة من كبار علماء السنّة في الصحاح والمسانيد وبثلاثة طرق الاول عن ابن عباس في اغلب المصادر[المصنف للصنعاني, ج5, ص 438, ح9757], والثاني عن عبد الرحمن بن أبي بكر[المستدرك على الصحيحين, ج3,ص 542, ح6016], والثالث: عن عمر بن الخطاب [المعجم الاوسط, الطبراني, ج5, ص287, ح5338] وحكموا بصحة هذه الطرق.

ثانياً: يدلُّ على جواز كتابة الحديث لقوله (صلى الله عليه واله):" أكتبْ لكم كتاباً".

ثالثاً: فيه إيذاء للنبي(صلى الله عليه واله) وعصيان أمره, مما استلزم فعلهم هذا دخول الغمّ على قلب الشريف(صلى الله عليه واله), فقال:" وغُمَّ رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: "قوموا عنِّي", فمهما كانت التأويلات والتبرير لفعل الصحابة هذا فهي غير مقبولة مطلقاً لصده عن كتابة الكتاب. ولكونه معصوم في كل أحواله لقوله تعالى:{ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى}(النجم:3). وفعلهم هذا هو نظير ما فعلوه في يوم أحد, الذي اقتضى نزول القران بشأنه{فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ} كما تقدم في المعطيات القرآنية.

رابعاً: قول عمر بن الخطاب:" وعندكم القرآنُ، حسبُنا كتابُ الله" فيه مخالفة صريحة لأمره بكتابة الكتاب. ولازم قول الفاروق واجتهاده حين قال:" حسبُنا كتابُ الله" التشكيك في قيادته وأهليته(صلى الله عليه واله)الحكيمة في هداية أمته. ومما يؤيد هذا

www.misan-jas.com ISSN (Paper)-1994-697X (Online)-2706-722X

التوجه لدى الخليفة عمر بن الخطاب سيرته القائمة على إحراق أحاديث رسول الله (صلى الله عليه واله) ومنع تدوينها. وسيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

خامساً: وفي دلالة هذا الحديث الدعوة للتمسك بكتاب الله دون سنّة النبي(صلى الله عليه واله). ومما يدلّ على تلك الدعوة ومعرفة النبي (صلى الله عليه واله) بها ما رواه ابن أبي شيبة بسنده عن رسول الله أنَّه قال:" يُوشِكُ الرَّجُلُ يَتَّكِئُ عَلَى أَرِيكَتِهِ يُحَدِّثُ بِحَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِي فَيَقُولُ: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ كِتَابُ اللَّهِ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَلَالٍ اسْتَحْلَلْنَاهُ وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَرَامٍ حَرَّمْنَاهُ، أَلَا وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ مِثْلُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ "(32).

2. حديث تحذير النبي (صلى الله عليه واله) امته فصل الكتاب عن السنّة:

حذرَّ النبي(صلى الله عليه واله) أمته من الوقوع بالضلالة كما وقعت اليهود والنصارى من قبلهم الذين عمدوا على ترك سنَّة أنبيائهم (عليهم السلام) وتمسكهم بكتابيهما(التوراة, والانجيل). ونقل لنا ذلك التحذير ابن حبان بسنده عن عوف بن مالك، أنه قال: " أنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نظر إلى السماء يوماً، فقال: هذا أوان يرفع العلم. فقال رجل من الأنصار يقال له: لبيد بن زياد: يا رسول الله يرفع العلم وقد أُثبت، ووعته القلوب؟! فقال له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إن كنت لأحسبك من أفقه أهل المدينة", ثم ذكر ضلالة اليهود والنصارى على ما في أيديهم من كتاب الله تعالى " (33). وفي السياق نفسه أخرج ابن حجر بسنده عن أبي أمامة, قال: سأل اعرابي رسول الله (صلى الله عليه واله) في حجة الوداع, فقال: "يا نبي الله كيف يرفع العلم منا وبين أظهرنا المصاحف وقد تعلمنا ما فيها وعلمناها أبناءنا ونساءنا وخدمنا؟. فرفع رأسه وهو مغضب فقال: هذه اليهود والنصارى بين أظهرهم المصاحف لم يتعلموا منها فيما جاءهم أنبياؤهم"(34). وصرحت بعض أحاديث الرسول بوقوع سنَّة اليهود والنصارى المتمثلة بفصل الكتاب عن السنَّة في أمته. فقد اخرجه المتقي بسنده عن رسول الله(صلى الله عليه واله), أنَّه قال:" عسى أحدكم إن يكذبني وهو متكئ على أريكته يبلغه الحديث عني فيقول: ماذا قال رسول الله؟! دع هذا وهات ما في القرآن!"(35). وروى البخاري بسنده فقال رسول الله(صلى الله عليه واله): "لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبراً وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم. قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى, قال: فمن؟!"(36). وروي أيضا عنه (صلى الله عليه واله):" ليحملن شرار هذه الأمة على سنن الذين خلوا من قبلهم من أهل الكتاب حذو القذة بالقذة"(35).

والتشكيك بالسنَّة ومحاولة فصلها عن الكتاب امر حذر منه النبي(صلى الله عليه واله)؛ لأنَّ فيه إتباع سنن الذين من قبلنا اليهود والنصارى وفي اتباعها يتحقق الضلال. وهذه معطيات السنّة النبوية تدلّ على التشكيك بالقيادة الربانية والسنة النبوية.

3. سيرة الخلفاء الذين حكموا بعد رسول الله:

انعقدت سيرة الخلفاء من الصحابة الذين تولوا قيادة الحكم في دولة الاسلام بعد النبي (صلى الله عليه واله) على منع تدوين حديثه والشواهد كثيرة على ذلك, منها:

(أ)سيرة الخليفة الاول ابو بكر الصديق:

أول سنَّة سنَّها الخلفية ابو بكر بعدما نُصّب خليفة للمسلمين هي حرق (500) حديث كتبها عن رسول الله (صلى الله عليه واله), وظهور هذا الامر يُعدُّ سنة جديدة لم تكن مألوفة في عهد النبي وهذه سنّة الحاكم وسيرته تعزز لنا معطيات الكتاب والسنّة التي تقدمت, فقد روى الذهبي بسنده عن الحاكم, قال : "قالت: عائشة جمع أبي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت خمسمائة حديث فبات ليلته يتقلب كثيراً. قالت: فغمني. فقلت: أتتقلب لشكوى أو لشئ بلغك؟ فلما أصبح قال: أي بنية هلمي الأحاديث التي عندك. فجئته بها فدعا بنار فحرقها، فقلت: لم أحرقتها؟ قال: خشيت أن أموت وهي عندي، فيكون فيها أحاديث عن رجل قد ائتمنته ووثقت، ولم يكن كما حدثني فأكون قد نقلت ذاك "(37).

www.misan-jas.com ISSN (Paper)-1994-697X (Online)-2706-722X

تحليل رواية الإحراق:

(أ) صراحتها ووضوحها.

(ب) أنَّها تدلّ على إتلاف آثار رسول الله (صلى الله عليه واله) وسنَّته الصحيحة التي في احراقها مخالفة للشرع.

(ت) تدلّ على جواز تدوين الحديث في زمن النبي(صلى الله عليه واله), ويدلُّ عليه قول أم المؤمنين عائشة: "جمع أبي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم...".

(ث) أنَّ هذه الرواية تعارض أدلة المنع عن كتابة الحديث وتدوينه التي احتج بها ابو بكر ومن تبعه من الصحابة. ومن تلك الروايات مرسلة ابن أبي مليكة، قال:" فقال إنكم تحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم أشد اختلافاً، فلا تحدثوا عن رسول الله شيئاً، فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه!"(37). والارسال في رواية ابن أبي مليكة تُعدُّ علة في ضعف سند الحديث، ولكن علق الذهبي عليها، فقال:" فهذا المرسل يدلك أنَّ مراد الصديق التثبت في الاخبار والتحري لا سد باب الرواية، ألا تراه لما نزل به أمر الجدة ولم يجده في الكتاب كيف سأل عنه في السنة فلما أخبره الثقة ما اكتفى حتى استظهر بثقة آخر ولم يقل حسبنا كتاب الله كما تقوله الخوارج "(37). والظاهر من كلامه أنّه يقبل برواية ابن أبي مليكة المرسلة حتى وإن كانت معلولة فقد رتب عليها الاثر.

(ج) أنَّ قول أبي بكر لعائشة:" خشيت أن أموت وهي عندي، فيكون فيها أحاديث عن رجل قد ائتمنته ووثقت، ولم يكن كما حدثني فأكون قد نقلت ذاك ". يدلّ على جملة من الأمور:

أوّلاً: أنَّ سبب الاحراق في هذه الرواية هو خشية أن يكون الراوي قد غير وبدل بعض كلمات أحاديث رسول الله (صلى الله عليه واله) التي نقلها عنه أبو بكر. ولربما يدل عدم تحرز أبو بكر من وثاقة راوي الحديث بل قد يدل على الطعن بصحابة رسول الله (صلى الله عليه واله) لاحتمالية وقوع التحريف والتغيير والتبديل في كلمات ومعاني أحاديث رسول الله (صلى الله عليه واله) من قبل الراوي تعمدا أو خطأ. ولكن هؤلاء الرواة وإن أخطأ بعضهم لكن وسيلة التثبت حينئذٍ متوفرة يمكن رجوعه الى غير من روى هذه الأحاديث التي شك فيها ابو بكر التغيير والتبديل. وعليه فأبو بكر يشك برواة الحديث له من قبل الصحابة وتدل على قلة الضبط لديه في تدوين الحديث الشريف، فمن باب الاولوية لا يعتمد على روايته حفظا! ولو فرضنا أنَّ بعض الأحاديث صحيحة من خمسمائة حديث لما جاز اتلافها جميعاً بالإحراق؛ لأنَّ هذه الصحيحة بحد ذاتها تكون مانعاً من تحقق مقتضى الاحراق؛ لاستلزامه ضياع الامانة والسنَّة الصحيحة لمن ائتمنه عليها!. وهذه الفرضية تنجز لنا العلم الاجمالي بصحة بعض الأحاديث المانع من احراقها عقلاً. وعند فرضية انحلال العلم الاجمالي الى العلم التفصيلي لزم احراق الأحاديث التي عُلِمَ عدم صحتها؛ لأنَّه أحرز وقوع الاشتباه فيها على نحو القطع واليقين. أما بقية الاحاديث التي لم يقع فيها الاشتباه والمفترض أن تكون صحيحة فحينئذٍ لا مسوغ شرعي ولا عقلي لأحراقها مطلقاً لصحتها!.

ثانيا: ولو سلمنا بوقوع الخشية المفضية الى الخطأ كما اشارت اليها رواية أم المؤمنين عائشة، فهنالك الكثير من الصحابة قد سمعوا هذه الأحاديث ودونوها كما دونها الصديق عن رسول الله (صلى الله عليه واله) ويمكن مراجعتهم في حالة فرضية عدم الضبط. فلو تريث الصديق ولم يحرقها لامكن مراجعتها مع الصحابة لأثبات صحيحها من سقيمها. ومما يدفع فرضية عدم الضبط أسلوب النبي(صلى الله عليه واله) الذي كان يساعد على الحفظ والتدوين، فقد كان يتحدث بتأن دون استعجال، وكان يكرر بعض العبارات للتأكيد بالإضافة إلى بلاغته وقصر حديثه الشريف في أغلب الأحيان يدفع فرضية عدم الضبط.

ثالثاً: رفض الذهبي هذه الرواية ولم يذكر سبباً معقولاً له، لذا علق على هذه الرواية فقال: "فهذا لا يصح والله أعلم". وردت مؤسسة دلتا للمعلومات والانظمة قول الذهبي بعدم صحة الرواية، فقالت: " وكم حذر النبيُّ من ضلال الاكتفاء بالقرآن عن السنة!! "(38).

رابعاً: أنَّ سلسلة سند رواة هذه الرواية هم من ثقات الرجال عند الذهبي، وهم ثقات عند الحاكم الذي نقل عنه هذه الرواية فقال:" حدثني بكر بن محمد الصيرفي بمرو انا محمد بن موسى البربري انا المفضل بن غسان انا علي بن صالح انا موسى بن عبد الله بن حسن بن حسن عن إبراهيم بن عمر بن عبيد الله التيمي حدثني القاسم بن محمد " ومقتضى السند حصول اللقيا

ISSN (Paper)-1994-697X (Online)-2706-722X

والمعاصرة، كما لم يطعن الذهبي براوٍ واحدٍ في سند هذه الرواية مطلقاً، فقط اكتفى بقوله : لا يصح والله أعلم!.

(ح) أنَّ إحراق (500) حديث عمل لا مبرر له فمجرد الشك مع وجود كبار الصحابة وخيارهم يمكن أن يرفع الشك باليقين عند التثبت منهم.

(خ) وعمل الصديق هذا يدلُّ على أنَّ الرسول لم يترك لامته القرآن فقط كما يزعم بعضهم, بل ترك لها سنَّة متمثلة بقوله وفعله وتقريره. وهذه بحد ذاتها تحتاج إلى تدوين وحفظ!.

(د) لم تدلّ الرواية على أنّ كتابة الحديث تستلزم اختلاط الحديث بالقرآن لكي يبرر بعضهم المنع من التدوين. والصريح من هذه الرواية جمع الحديث بمعزل عن القران. وهذا الامر يكشف لنا أنَّ النبي(صلى الله عليه واله)كان يشرف على كتابة الحديث وكان عالماً بضرورة فصل كتابة الحديث عن الكتاب العزيز حتى لا يتخذه بعضهم حجة في منع تدوين الحديث بعده. وحث النبي(صلى الله عليه واله) على التدوين فقال:" قيدوا العلم بالكتابة"(39). ويدفع خشية اختلاط القران بالحديث قوله تعالى: { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}(الحجر:9).

(ذ) أنَّ عملية احراق الحديث قد تشير إلى سنة الطمس التي جرت في سنّة موسى وعيسى (صلى الله عليه واله) التي تحققت في عهد اليهود والنصارى عندما أحدثوا طمس الحقائق بتمسكهم في التوراة والانجيل فقط بعد موت أنبيائهم. وقد ذكرنا ذلك في الصفحة (17) من البحث.

(ر) مصدر رواية احراق (500) قوي ومعتبر(40).

(ب) سيرة الخليفة الثاني عمر بن الخطاب:

وقد اقتفى الخليفة عمر بن الخطاب سيرة ابو بكر وسنته عملاً بالإحراق ومنع تدوين الحديث ومعاقبة من يروي الحديث, حيث روى ابن عبد البر بسنده عن:" عروة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أراد أن يكتب السنن فاستفتى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك فأشاروا عليه بأن يكتبها فطفق عمر يستخير الله فيها شهراً ثم أصبح يوماً وقد عزم الله له فقال: إني كنت أريد أن أكتب السنن وإني ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله وإني والله لا أشوب كتاب الله بشيء أبداً!"(41), ولكن هل يُعدُّ أمر الحفاظ على الوحي (السنَّة) موردا من موارد الاستخارة؟!. وهل إجماع الصحابة على كتابتها تبطله استخارة؟! ولعمري كيف تقع خيرة الله على احراق وحيه؟!. وأخرج ابن سعد بسنده عن عبد الله بن العلاء قال:" سألت القاسم يملي على أحاديث فقال: إنَّ الأحاديث كثرت على عهد عمر بن الخطاب فأنشد الناس أن يأتوه بها فلما أتوه بها أمر بتحريقها ثم قال: مثناة كمثناة أهل الكتاب. قال: فمنعني القاسم يومئذ أن أكتب حديثاً"(42). ويصرح الفاروق بضرورة منع تدوين الحديث، بل قام بحرقها والاكتفاء بالكتاب، والسبب الذي اعتمد عليه بقوله:" مثناة كمثناة أهل الكتاب" وهم اليهود والنصارى وقد سبق تحذير النبي (صلى الله عليه واله) أمته من الفصل بين الكتاب وسنته كما فعل أهل الكتاب من قبل!. وما منع القاسم لعبد الله بن العلاء الا تمسكاً بسنة الخليفة عمر بن الخطاب.

وروى القرطبي أيضا بسنده عن:" يحيى بن جعدة أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنة ثم بدا له أن لا يكتبها، ثم كتب في الأمصار من كان عنده شيء فليمحه"(43). وهذه من المصاديق التي أُصطُلحت عليها بسنّة الحاكم التي حرص عليها الخليفة الثاني عمر بن الخطاب وأبى تركها وإن خالفت القران والسنّة الشريفة وإجماع الصحابة، عملاً بأيمانه المطلق للشعار الذي رفعه قبل وفاة النبي(صلى الله عليه واله), حين قال: (حسبنا كتاب الله) بناءً لرأيه واجتهاده. وقد أمر الخليفة عمر بن الخطاب بمنع تدوين الحديث واقلال التحديث به في جميع امصار الدولة الاسلامية خصوصاً في مجتمع الكوفة، وجسد هذا العمل أنَّ عمر بن الخطاب بعث للكوفة بعض الصحابة من الانصار يعلمون الناس القران دون السنَّة. روى الدارمي بسنده:" عن قرظة بن كعب أنّ عمر شيّع الأنصار حين خرجوا من المدينة فقال: أتدرون لم شيعتكم؟ قلنا: لحق الأنصار، قال: إنكم تأتون قومًا تهتز ألسنتهم بالقرآن اهتزاز النخل فلا تصدوهم بالحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنا شريككم. قال: فما حدثت بشيء، وقد سمعت كما سمع أصحابي"(44). وهذه الرواية لها عدة معطيات، من جملتها:

www.misan-jas.com ISSN (Paper)-1994-697X (Online)-2706-722X

1. أنّ مجتمع الكوفة بعد الفتح والتمصير ودخوله الى الاسلام زمن الفتوحات لم ينقل اليهم سوى القران الكريم، وهذه سنة الخليفة الاول أبو بكر التي أكدها الخليفة الثاني عمر بن الخطاب, حين قال: "إنكم تأتون قومًا تهتز ألسنتهم بالقرآن اهتزاز النخل". يعني أن مجتمع الكوفة كانوا يعرفون كتاب الله ويحفظونه دون سنّة النبي(صلى الله عليه واله)!.
2. وتدلّ ايضا على منع رواية الحديث الشريف وتدوينه.
3. هذه الرواية تعارض سنّة الرسول(صلى الله عليه واله) القائم على ضرورة تدوين الحديث والعلم كحديث: اكتبوا لأبي شاه وحديث صحيفة علي (عليه السلام)، وحديث كتاب عمرو بن حزم في الفرائض والسنن والديات، وأذنه(صلى الله عليه واله) لعبد الله بن عمرو في الكتابة فكتب عبد الله عنه (صلى الله عليه واله) صحيفة كان يُسميها بـ (الصادقة).

ويظهر مما تقدم من حديث (الاحراق) وأحاديث أسباب النزول وحديث تحذير النبي(صلى الله عليه واله) أمته من اتباع سنة اليهود والنصارى. وحديث صد اهل الكوفة عن تعلم الحديث. وغيرها أنها تتحد في التشكيك بالنبوة، ويؤيد ما ذكرناه حديث (الصحيفة والدواة) التي تضمنت شعار (حسبنا كتاب الله) الذي قد تقدم ذكره.

(ت)سيرة الخليفة الثالث عثمان بن عفان:

لم يكن الخليفة عثمان مغيراً سنّة الخليفة أبو بكر وعمر من قبله في منع تدوين الحديث، بل صرح بأن يكون الحديث الذي يتناقله الصحابة مخصوصاً بما روي في زمن الشيخين أبو بكر وعمر، فقد روى المتقي عن محمود بن لبيد قال:" سمعت عثمان بن عفان على المنبر يقول: لا يحل لأحد يروي حديثاً لم يسمع به في عهد أبي بكر ولا عهد عمر فإني لم يمنعني أن أحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أكون أوعى أصحابه عنده إلا أني سمعته يقول: "من قال علي ما لم أقل فقد تبوأ مقعده من النار"(35).

(ج)معطيات سيرة الصحابة:

1. سيرة الصحابي سعد بن أبي وقاص:

كان والياً للخليفة عمر بن الخطاب على مدينة الكوفة وهو من مصرها, فمن سيرته أنَّه مضى على سنَّة الشيخين (الصديق والفاروق) في التمسك بعدم رواية الحديث فقد روى معمر بسنده عن ابن المسيب قوله:" قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنٌ لِسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، حَدِيثًا عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: فَدَخَلْتُ عَلَى سَعْدٍ فَقُلْتُ: حُدِّثْنَا حَدِيثًا عَنْكَ، حَدَّثْتَهُ حِينَ اسْتَخْلَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيًّا عَلَى الْمَدِينَةِ، قَالَ: فَغَضِبَ سَعْدٌ فَقَالَ: مَنْ حَدَّثَكَ بِهِ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُخْبِرَ بِابْنِهِ، فَيَغْضَبَ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ فَاسْتَخْلَفَ عَلِيًّا عَلَى الْمَدِينَةِ، فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ تَخْرُجَ مَخْرَجًا إِلَّا وَأَنَا مَعَكَ فِيهِ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى غَيْرَ أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»"(45).

تحليل الرواية:

(أ) يظهر من الرواية تمسك سعد بعدم رواية الحديث وهذا ظاهر من كراهة ابن المسيب في أخبار سعد بمن حدثه بالحديث الذي اخبر به سعداً؛ وكان مضمون الحديث استخلاف علي (عليه السلام) مما اثار غضبه سؤال ابن المسيب.

(ب) يدلُّ الحديث على ضرورة استخلاف النبي عند غيابه (صلى الله عليه واله) بقيادة مماثلة كقيادة الامام علي(عليه السلام) على المدينة. وهو بالضبط ما فعله موسى بأخيه هارون(صلى الله عليه واله) تماماً؛ لأنَّها سنّة الخلافة الإلهية(46), كما استخلف موسى أخاه هارون (صلى الله عليه واله) على قومه خوفاً من انقلابهم على الاعقاب عند غيابه لميقات الله سبحانه. وهذا الحديث موافق للآية (144) من سورة آل عمران التي مرَّ ذكرها في الصفحة (10).

(ت) تأكيد النبي (صلى الله عليه واله) بقوله :"غير أنَّه لا نبي بعدي" على انقطاع الوحي الرسالي من بعده, كما يدلُّ على ضرورة وجود خليفة من بعده يحفظ ما تركه لنا الرسول من الكتاب والسنَّة من الطمس والتأويل والاندثار, وهذا واضح من قرن الرسول (صلى الله عليه واله) الامام علي (عليه السلام) بمنزلة هارون من موسى خوفاً على أمته من الوقوع بما وقع به قوم موسى(عليه السلام) من الانقلاب على الاعقاب.

2. سيرة الصحابي عبد الله بن مسعود والي مدينة الكوفة:

كان أحد ولاة مدينة الكوفة في زمن الخليفة عثمان بن عفان. روى الخطيب البغداديّ بسنده:" عن عبدالرحمن بن الاَسود عن أبيه، قال: جاء علقمة بكتاب من مكّة أو اليمن، صحيفة فيها أحاديث في أهل البيت بيت النبيّ، فاستأذنّا على عبدالله، فدخلنا عليه، قال: فدفعنا إليه الصحيفة، قال: فدعا الجارية، ثمّ دعا بطست فيها ماء، فقلنا له: يا أبا عبد الرحمن انظر فيها؛ فإنّ فيها أحاديث حساناً. قال: فجعل يميثها فيها، ويقول:{ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ}(يوسف:3) القلوب أوعية فأشغلوها بالقرآن لا تشغلوها ما سواه"(47).

تحليل الرواية:

1. تدلُّ هذه الرواية على اخفاء ومحو لسنَّة رسول الله (صلى الله عليه واله).

2. تدلُّ على فصل السنَّة أو بعضها عن القران المجيد, وتدلُّ على الطعن ببعض سنَّة النبي(صلى الله عليه واله) وعدم معرفة وظيفته البيانية التي ذكرها الله تعالى بقوله:{هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ}(آل عمران:138), وهي وظيفة عامة التي تتكفل بسبر غوره وبيان مقاصده الاولى معرفة اصول اللغة. والوظيفة التبيينية التي ذكرها الله بقوله:{وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ}(النحل:89) وهي صفة معرفية للرسول(صلى الله عليه واله) تندرج ضمن المنهج التوصيفي للقران ألا تلاحظ قوله تعالى:{ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ}؟ فهي صفة تبيانية لا توهب لأي أحد من الناس الا لطبقة معيّنة من البشر مصداقها المعصوم الاعظم نبينا (صلى الله عليه واله) ولا يمتنع انطباقها على أي معصوم بعده. وأما التبيُّنية القرآنية التي بينها الله بقوله: { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}(النحل:44), وهذه الآية تشمل الوظيفتين معا(48).

ولربما وقع بعض كبار الصحابة بالاشتباه كعمر بن الخطاب حين قال" حسبنا كتاب الله" اعتماداً لقوله تعالى{هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ}(آل عمران:138). وهذا ما دلَّ عليه قول ابن مسعود:" القلوب أوعية فاشغلوها بالقران لا تشغلوها ما سواه". ويدلُّ كلامه حسب الظاهر انه لا يعدُّ سنَّة الرسول من الوحي أو أنهَّا غير ضرورية لشبهة عدم احتياج القران الى مُفسِّر!.

وعلى هذا الاساس أنَّ استشهاد ابن مسعود بالآية (3) من سورة يوسف بعيدة عن موضع الاستدلال. ومن هنا نستطيع أن نُرَّجح ظهور الاتجاه الذاتي في التفسير ويطلق عليهم بـ(القرآنيون).

3. سيرة الصحابيين أنس بن مالك وأبو هريرة:

سيرة بعض الصحابة قد تكشف لنا ما تأثير ترك السنَّة النبوية وفصلها عن القران الكريم على مجتمع الصحابة والتابعين، ومجتمع الفتوحات الاسلامية.

إنَّ حال اغلب الصحابة الذين حُكِموا من قبل بعض ولاة المسلمين تكشف مدى تأثير ترك السنَّة النبوية على الحكام أنفسهم والمجتمع الذين يحكمونه، من تلك المشاهد:

(أ)ما جرى على الصحابي أنس بن مالك: روى البخاري بسنده عن الزهري, يقول:" دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك؟ فقال: لا أعرف شيئاً مما أدركت إلا هذه الصلاة، وهذه الصلاة قد ضيعت"(36). روى ابن رجب بسنده عن:" معاوية بْن قرة، قَالَ: دخلت أنا ونفر معي عَلَى أنس بْن مَالِك، فَقَالَ: مَا أمراؤكم هؤلاء عَلَى شيء مِمَّا كَانَ عَلِيهِ مُحَمَّد وأصحابه، إلا أنهم يزعمون أنهم يصلون ويصومون رمضان."(49). وفي موضع اخر اخرج ابن رجب بسنده عن عثمان بن سعد يقول:" قَالَ: أو ليس قَدْ علمت مَا قَدْ صنع الحجاج فِي الصلاة؟!"(49). أليس الحجاج من حفظة القران ومعلميه؟! فهو أنموذجاً من نماذج فصل القران عن السنَّة.

(ب) ما جرى على الصحابي أبي هريرة: نقل الذهبي جملة من الاحاديث التي تبين ما جرى على أبي هريرة, حيث روى بسنده عن:" السائب بن يزيد قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول لأبي هريرة: لتتركن الحديث أو لألحقنك بأرض دوس"(50) وفيه تهديد بالنفي والتغريب لأبي هريرة. وروى في موضع أخر بسنده عن ابن عجلان، قال:" أنَّ أبا هريرة كان يقول : إنّي لأحدث

www.misan-jas.com ISSN (Paper)-1994-697X (Online)-2706-722X

أحاديث ، لو تكلمت بها في زمن عمر ، لشج رأسي"(50). وفيه تهديد بالضرب والعقاب لصحابة رسول(صلى الله عليه واله) لروايتهم الحديث الشريف!!.

وعلق الذهبي على هذه الأحاديث، فقال:" هكذا كان عمر (رضي الله عنه) يقول: أقلوا الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وزجر غير واحد من الصحابة عن بثّ الحديث، وهذا مذهب لعمر ولغيره، فبالله عليك إذا كان الإكثار من الحديث في دولة عمر، بل هو غضّ لم يُشَب، فما ظنُّك بالإكثار من رواية الغرائب، والمناكير في زماننا مع طول الأسانيد، وكثرة الوهم والغلط، فبالحريّ أن نزجُر القوم عنه...، بل يروون والله الموضوعات والأباطيل، والمستحيل في الأصول"(50). ولعمري كيف فاتت الذهبي أن منع تدوين الحديث والاقلال من روايته وهو غضة لم تشب كان السبب في ظهور الدس والوضع ومناكير الاحاديث والإسرائيليات؟!. أليس من الاجدر من كبار صحابة رسول الله كأبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم حفظ تراثه(صلى الله عليه واله) وهو غض طري بين أيديهم؟! ولو فعلوا ذلك لما اختلفت الامة في أحاديث رسول الله(صلى الله عليه واله) ولسدوا باب التحريف والدس على أعداء هذه الامة المبتلاة. وقد أجمع الصحابة على جمعه وتدوينه عندما استفتاهم عمر بن الخطاب في مسألة تدوينه كما مرَّ عند استعراض سيرته. وبعد قرن ونصف القرن دونت السنّة، فقال الزلمي:" لم يبدأ تدوين السنَّة الشريفة إلا في منتصف القرن الثاني للهجرة. ففكر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رض) بتدوينها ولكنه أعرض عن ذلك خشية التباسها بالقران، ولم يقدم على تدوينها غير عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما الذي دون ما سمعه من رسول الله (صلى الله عليه واله) مباشرة في صحيفة سميت بالصادقة"(51). وحجة اختلاط الحديث بالقران يدفعه ما ذكره الزلمي نفسه بتدوين الصحيفة الصادقة, بل تدوينها وتدوين السنَّة هو الاساس الحقيقي والواقعي الذي لا يحتاج الى نظر واستدلال لكي نقطع بعدم اختلاط القران بالحديث!.

وبرر بعضهم منع الخليفة عمر من تدوين الرواية والاقلال منها بقوله:" ومراد عمر بذلك–والله أعلم– نَهْي أبي هريرة رضي الله عنه من التحديث أو الإكثار منه بين عامة الناس فإن فيهم العالم والجاهل وسيء الفهم والزائغ عن الحق فيفضي ذلك إلى مساوئ كثيرة" (52). ولعمري في هذا الكلام مجانبة للصواب ومخالفة لسيرة النبي (صلى الله عليه واله) الذي كان يخاطب عامة الناس دون رهبانية وفئة أو شريحة معينة وهو المعصوم من الخطأ!!. فكيف يبرر عمل صحابي غير معصوم بهكذا تبرير؟!!.

(ت) الاقامة الجبرية لصحابة رسول الله (صلى الله عليه واله) أخرج الهندي عن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه, قال: "والله ما مات عمر بن الخطاب حتى بعث إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فجمعهم من الآفاق عبد الله ابن حذافة وأبا الدرداء وأبا ذر وعقبة بن عامر فقال: ما هذه الأحاديث التي قد أفشيتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الآفاق؟ قالوا: أنتهانا؟ قال: لا أقيموا عندي لا والله لا تفارقوني ما عشت فنحن أعلم نأخذ ونرد عليكم فما فارقوه حتى مات"(40).

وكل هذه الدلائل تتجه الى أنَّ سنَّة الحاكم مؤثرة تأثيراً كبيراً في التشكيك بالقيادة الالهية الصالحة بما ينعكس على عملية بناء المجتمع ومنظومته الفكرية خصوصا أذا تعاقبت عليه حقبة زمنية كبيرة؛ لينشئ مجتمعاً وجيلاً جديدا لا يعرف من سنَّة رسول الله (صلى الله عليه واله) شيئاً لكي يتلقى سنّة الحاكم التي تتصف بسماجة الطباع. ومن أبرز معطيات سنّة الحاكم:

1. فصل السنَّة عن القران ومنع تدوينها والتقليل من روايتها والتشكيك بقيادته.
2. خلق سنَّة جديدة قائمة على تبرير دور الحاكم وفعله وإن خالف الكتاب والسنَة واجماع الصحابة.
3. إنشاء مجتمع جديد لم يعرف شيئاً عن سنَّة رسول الله (صلى الله عليه واله) سوى القران. المنع والتقليل من تأثير جيل الصحابة الذين تلقوا السنَّة الشريفة وحفظوها في عصر النص وفي اكناف النبوة والوحي. وهذه السنَّة المستحدثة تحتاج الى أموال يعزز بها سلطانه, فكانت الفتوحات هي المغنم.
4. التعتيم على الاحاديث الشريفة التي تخص خلفاء رسول الله (صلى الله عليه واله) من بعده.
5. تحمل اسم محمد طمعاً بالرياسة والحكم.

www.misan-jas.com ISSN (Paper)-1994-697X (Online)-2706-722X

وكل هذه المعطيات دل عليها كل ما تقدم وقول أمير المؤمنين (عليه السلام):" إنَّ العرب كرهت أمر محمد صلى الله عليه وسلم وحسدته على ما آتاه الله من فضله، واستطالت أيامه حتى قذفت زوجته، ونفرت به ناقته، مع عظيم إحسانه إليها، وجسيم مننه عندها وأجمعت مذ كان حياً على صرف الامر عن أهل بيته بعد موته ، ولولا أنَّ قريشاً جعلت اسمه ذريعة إلى الرياسة ، وسلما إلى العز والإمرة ....ثم فتح الله عليها الفتوح ، فأثرت بعد الفاقة ، وتمولت بعد الجهد والمخمصة، فحسن في عيونها من الاسلام ما كان سمجاً، وثبت في قلوب كثير منها من الدين ما كان مضطرباً، وقالت : لولا إنه حق لما كان كذا ، ثم نسبت تلك الفتوح إلى آراء ولاتها ، وحسن تدبير الامراء القائمين به فتأكد عند الناس نباهة قوم وخمول آخرين ، فكنا نحن ممن خمل ذكره ، وخبت ناره ، وانقطع صوته وصيته ، حتى أكل الدهر علينا وشرب، ومضت السنون والأحقاب بما فيها ، ومات كثير ممن يعرف، ونشأ كثير ممن لا يعرف. وما عسى أن يكون الولد لو كان ! إن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يقربني بما تعلمونه من القرب للنسب واللحمة، بل للجهاد والنصيحة، أفتراه لو كان له ولد هل كان يفعل ما فعلت ! وكذاك لم يكن يقرب ما قربت، ثم لم يكن عند قريش والعرب سببا للحظوة والمنزلة، بل للحرمان والجفوة . اللهم إنك تعلم إني لم أرد الامرة، ولا علو الملك والرياسة، وإنما أردت القيام بحدودك، والأداء لشرعك، ووضع الأمور في مواضعها، وتوفير الحقوق على أهلها، والمضي على منهاج نبيك، وإرشاد الضال إلى أنوار هدايتك"(53).

وعند التدقيق بسيرة ولاة الحاكم على امصار المسلمين لعرفنا سنّة الحاكم, كأمثال عبد الله بن سعد بن أبي سرح والي الخليفة عثمان على مصر وهو أخ له من الرضاعة, الذي أهدر رسول الله (صلى الله عليه واله) دمه حيث ذكر قصته, اليعقوبي, فقال:" قال رسول الله : يا علي قد أجرنا من أجارت أم هانئ ، وآمنهم جميعا إلا خمسة نفر أمر بقتلهم ولو كانوا متعلقين بأستار الكعبة وأربع نسوة وهم : عبد الله بن عبد العزى بن خطل من بني تيم الأدرم بن غالب ، وكان رسول الله وجهه مع رجل من الأنصار فشد على الأنصاري فقتله وقال: لا طاعة لك ولا لمحمد ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري ، وكان يكتب لرسول الله فصار إلى مكة فقال : أنا أقول كما يقول محمد ، والله ما محمد نبي وقد كان يقول لي : اكتب عزيز حكيم، فأكتب لطيف خبير ، ولو كان نبيا لعلم..."**(54)**. وأمثال الوليد بن عتبة والي عثمان على الكوفة وهو شقيقه لأمه الذي نزلت بحقه قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ}(الحجرات:6). وقد صلى بالناس وهو مخمور صلاة الصبح أربع ركعات, فقال لهم هل ازيدكم(55).؟!

ذكر طفوش أحداث الكوفة المضطربة فقال:" الواضح أن المجتمع الكوفي كان يعيش، حين غادر الوليد مركز عمله، حالة مضطربة، ويخضع لضغط المهاجرين الجدد من الإعراب غير المندمجين في منظومة العطاء الذين سيطروا على مقدرات الأمور، وربما كانت سياسة الوليد وراء ذلك، وتراجع نفوذ الأشراف القبليين وأهل السابقة في القتال، وشكلوا أقلية عددية بالمقارنة مع الأعراب الوافدين.

كانت الكوفة تشكو من كثرة المهاجرين دون مراعاة وضعها الاجتماعي، بمعنى الهجرة غير المنضبطة، وحدت رد فعل من جانب أهل الأيام، والقادسية للعودة إلى سياسة عمر بن الخطاب، وتأكيد الهرمية وإعادة بناء الحجم الاجتماعي، وإبراز قيمة امتياز المبدأ الإسلامي بدلًا من الشرف القبلي، وأحاط القراء بالوالي، فقد جعل وهكذا أضحت السياسة الجديدة في الكوفة تقوم على إعادة بناء الهيكل الاجتماعي، وإبراز قيمة الامتياز الإسلامي بدلًا من الشرف القبلي، واتفق الخليفة مع عامله على تفضيل أهل الأيام، والقادسية والسابقة على سواهم، وكانوا يمثلون النخبة الإسلامية، بحث أضحى سعيد بن العاص لا يجالس إلا نازلة أهل الكوفة، ووجوه أهل الأيام والقادسية والقراء، مما يعني أن هناك انقلابًا إداريًا قد حصل في الكوفة.

واعتقد عثمان ووالية سعيد أن هذه السياسة هي الحل الأفضل لوضع حد للفوضى؛ لأن تلك الجماعات كانت الأشد نفوذًا والأكثر نشاطًا، وانتسب إليها الأشخاص الذين اتهموا الوليد، ونجحوا في عزله من منصبه، ثم جرى إدخال عدد معين من المهاجرين الجدد في عداد أهل العطاء، أو في عداد تلك النخبة، وطلب منهم أن يكونوا وسطاء بينه، وبين الناس: "أنتم وجوه من ورائكم، والوجه ينبئ عن الجسد، فأبلغونا حاجة ذي الحاجة، وخلة ذي الخلة، وذلك لتهدئة الخواطر، وترك الباقي على حاله، الأمر الذي أثار الاستياء، والشائعات بشأن المطاعن على عثمان"(55).

www.misan-jas.com ISSN (Paper)-1994-697X (Online)-2706-722X

طبيعة المدح والذم لأهل الكوفة في مرويات اهل البيت(ع):

وبعد تلك المعطيات بقي لنا تحليل روايات أهل البيت (عليهم السلام) التي صدر في أهل الكوفة، أما دراسة أسانيدها فقد اعتمد الباحث في إثبات صحتها من خلال مسلك الوثوق بمتونها التي توافق معطيات الكتاب والسنة الشريفة. ومن ثمَّ اختيار بعض النماذج من الروايات لكل فئة لاتحادها في وحدة الموضوع من المجموع الكلي لتلك الروايات لاستخلاص حكماً واضحاً من تلك الروايات ذات الصلة الوثيقة بموضوع المدح أو الذم الذي ذكرته الاحاديث:

أولاً: روايات المدح:

نتناول بعض روايات اهل البيت (عليهم السلام) في مدح اهل الكوفة وشيعته :

أما الأحاديث التي تمدح أهل الكوفة والعراق وشيعته على لسان أهل البيت(عليهم السلام), فهي:

1- روى المجلسي بسنده عن الإمام علي (عليه السلام) مخاطبًاً أهل الكوفة قائلاً:" أنتم الانصار على الحق والاخوان في الدين والجنن يوم البأس والباطنة دون الناس بكم اضرب المدبر وارجو طاعة المقبل"(56). من هذه الرواية يتوجه المدح الى الذين ثبتوا على الحق ولم يعصوا امامهم فيما يأمرهم به، وهذه الرواية موافقة لآية الانقلاب على الاعقاب وتحديدا لقوله تعالى:{وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ}(آل عمران:144). وروي عنه أيضاً أنَّه قال: "هذه مدينتنا ومحلنا ومقر شيعتنا"(56). وهذه الرواية موافقة لمعطيات الكتاب والسنّة التي تقدمت.

2. روى ابن أبي الحديد بسنده عن الإمام الحسن (عليه السلام) واصفاً أهل الكوفة بعد وصوله الى دير هند بعد مفارقتها، فقال:" وما عن قلبي فارقت دار معاشري هم المانعون حوزتي وذماري"(53) وهذه الرواية موافقة للكتاب والسنّة أيضا.

3. قال الإمام الصادق في مدح أهل العراق:" واهل كوفة اوتادنا واهل هذا السواد منا ونحن منهم"(53). وروي عنه أيضاً أنه قال عندما دخل عليه عبد الله بن الوليد في جمع من اهل العراق فقال لهم: " ممن انتم؟, قلنا: من اهل الكوفة. قال: ما من البلدان أكثر محبا لنا من اهل الكوفة, لاسيما هذه العصابة، أنَّ الله هداكم لأمر جهله الناس. فاحببتمونا وابغضنا الناس، وبايعتمونا وخالفنا الناس وصدقتمونا وكذبنا الناس، فأحياكم الله محيانا واماتكم ممانتا"(23). ومن دعائه (عليه السلام) للكوفة :"اللهم ارمِ من رماها وعادِ من عاداها" (56). وكل هذه الرواية موافقة للكتاب والسنّة.

وغيرها من الروايات التي تمدح أهل الكوفة والعراق، ومنها نستطيع أن نستخلص ما يأتي:

أنَّ مدحهم(عليه السلام) متوجه الى كل من عرف الحق وثبت عليه وحفظ سنَّة رسول الله(صلى الله عليه واله) وسعى في نشرها ودعوة الناس لحفظها وتدوينها, ولم يشكك في القيادة الالهية لرسول الله ولا من كان بعده واغلب هؤلاء عرف الحق من قبل صحابة رسول الله من أهل العراق وكانوا من سادات القوم وزعمائهم واشراف أهلها الذين بثوا السنَّة الصحيحة بعد رسول الله(صلى الله عليه واله). ومن هنا كانت الكوفة مركزا ثقافياً لنشر الدين المحمدي الاصيل كما أنَّ اتخاذ امير المؤمنين (عليه السلام) عاصمة لدولته لوجود الانصار فيها فربى جيلاً هو وأهل بيته مع صحابة رسول الله الذين ثبتوا على الحق بعد معرفته وتمسكوا به وهذا ما أكدت عليه رواياتهم حيث قالوا:" ما من البلدان أكثر محبا لنا من اهل الكوفة، لاسيما هذه العصابة، أنَّ الله هداكم لأمر جهله الناس. فاحببتمونا وابغضنا الناس، وبايعتمونا وخالفنا الناس وصدقتمونا وكذبنا الناس، فأحياكم الله محيانا واماتكم ممانتا"(23). وصحة متوقف جابرة لضعف السند وبذلك تكون تلك الروايات موافقة لمعطيات الكتاب والسّنّة الشريفة التي قد قام الباحث بتأسيسها.

ثانيا: روايات الذمّ

هنالك العديد من روايات الذمّ الصادرة في حق أهل الكوفة من قبل أهل البيت (عليهم السلام) سنقتصر على أنموذجين منها اختصاراً للبحث:

روى المجلسي بسنده عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنّه خطب باهل الكوفة فقال:" يا أهل الكوفة!....كأني بكم تقولون: إنَّ علياً يكذب, كما قالت قريش لنبيها وسيدها نبي الرحمة محمد بن عبد الله حبيب الله صلى الله عليه واله. فيا ويلكم، فعلى من أكذب! أعلى الله ! فأنا أول من عبد الله ووحده، أم على رسول الله صلى الله عليه وآله ! فأنا أول من آمن به وصدقه ونصره. كلا

www.misan-jas.com ISSN (Paper)-1994-697X (Online)-2706-722X

ولكنها لهجة خدعة كنتم عنها أغبياء. والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لتعلمن نبأها بعد حين، وذلك إذا صيركم إليها جهلكم ولا ينفعكم عندها علمكم ... أما والله أيها الشاهدة أبدانهم الغائبة عنهم عقولهم، المختلفة أهواؤهم!"(56). هذه الرواية تحمل معنى تشكيك بعض أهل الكوفة بقيادته الربانية كما شككت قريش بقيادة النبي (صلى الله عليه واله) الربانية. وهذه الرواية موافقة لآية الانقلاب على الاعقاب (آل عمران:144) وهذا المقياس يجري على بقية الروايات الأتية.

وروى أيضاً بسنده عن الامام الحسين(عليه السلام) حين قاتل جيش عمر بن سعد قائلاً:" ويحكم يا شيعة آل أبي سفيان! إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحرارا في دنياكم وارجعوا إلى أحسابكم إذ كنتم أعرابا، فناداه شمر فقال: ما تقول يا ابن فاطمة ؟ قال : أقول : أنا الذي أقاتلكم ، وتقاتلوني ، والنساء ليس عليهن جناح فامنعوا عتاتكم عن التعرض لحرمي ما دمت حيا... "(56).

ومن هذين الروايتين يفهم أنَّ المجتمع الكوفي نتيجة تعاقب المخالفين لأهل البيت عليهم السلام ونتيجة مجتمع الفتوحات الإسلامية التي غيرت في تركيبتها كما غيرت في تركيبة بقية امصار الحكم الإسلامي من المدينة ومكة والبصرة قد تربى مع هذه المجتمعات على سنة الحاكم التي غيب بها الثقل الأصغر وهم أهل البيت عليهم السلام وسنَّة رسول الله(صلى الله عليه واله) التي تحث على التمسك بهم. ومن خطاب الإمام الحسين لجيش عمر بن سعد تفهم أنَّ تأثير غياب سنة رسول الله (صلى الله عليه واله) عن الواقع الاجتماعي والمجتمع جعلت الامة لا تعرف ولاة أمرها الذين نص عليهم رسول الله بسنته وبأمر من الله ولذا كان تشكيك الامة في تلك القيادة الربانية أمر مفروغ منه بسبب اخفاء السنَّة التي فيها النصوص الصريحة على خلفاء رسول الله وهم أهل البيت (عليهم السلام). فكان من الطبيعي أن يصدر الذمّ منهم على هؤلاء الذين غاب عنهم الحق وعصوا الرسول في أهل بيته, كما صدر الذمّ على الصحابة في واقعة أحد.

ومن خلال تلك النتائج نفهم أن المدح والذم لا تناقض فيه مطلقا في مرويات أهل البيت(عليهم السلام) عن المجتمع الكوفي الذي فيه فئتان إحداهما متمسكة بالحق الذي جاء به الرسول (صلى الله عليه واله) والاخرى عصت الرسول وشككت به نتيجة لسنَّة الحاكم.

الخاتمة: :وتتضمن النتائج والتوصيات

أما النتائج فهي:

1.. سنَّة الحاكم قد انبثقت من الانقلاب على الاعقاب وانتشرت منذ موت الرسول(صلى الله عليه واله).

2. . كانت سنَّة الحاكم هي الاساس في تغييب سنَّة رسول الله (صلى الله عليه واله) وفصلها عن القران.

3. . أنَّ واقع الأمّة بعد رسول الله، وبما يحويه من هيكليّة نظام الخلافة السياسيّ ، وعملها الثقافيّ المرتبط بالعمل في سنةّ الحاكم وسياسته كان له التأثير الكبير بالواقع الاجتماعيّ والديني والعقدي, وحيث إنّ الخليفة لا يرتضي إعطاء أهل البيت مكاناً في النظام الجديد، بل سعى ليسلب منهم كلّ ما يتّكئون عليه.

التوصيات:

أوصي الباحثين بالتركيز على السنَّة المستحدثة بعد رسول الله(صلى الله عليه واله) والعمل الدؤوب في استخراجها لكي نصل الى وعي جديد نستطيع أن نفصل تلك السنّة عن سنّة رسول الله(صلى الله عليه واله).

المصادر والمراجع:

القران الكريم.

(1) ابن فارس(ت:395هـ), أحمد بن فارس, 1399هـ - 1979م , معجم مقاييس اللغة, تحقيق : عبد السلام محمد هارون, الناشر : مكتبة الإعلام الإسلامي, المطبعة : مكتبة الإعلام الإسلامي.

(2) الشيباني(ت:206هـ), إسحاق بن مرّار, 1394 هـ - 1974م, الجيم, تحقيق : إبراهيم الأبياري, الناشر : الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية- القاهرة.

(3) الأزدي(ت: بعد 309هـ), علي بن الحسن, 1988م, المنجد في اللغة, , ط:2, تحقيق : د. أحمد مختار عمر- د. ضاحي عبد الباقي, الناشر : عالم الكتب- القاهرة.

(4)ابن منظور(ت:711هـ), محمد بن مكرم, 1414هـ, لسان العرب, ط:3, الناشر: دار صادر – بيروت.

(5) الفيروز آبادي, محمد بن يعقوب, 1426 هـ - 2005 م, القاموس المحيط,ط8, تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة, الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان.

(6) ابن جبير, رحلة ابن جبير, 1384 - 1964 م, الناشر : دار صادر للطباعة والنشر / دار بيروت للطباعة.

(7)ابن بطوطة(ت:779هـ), محمد بن عبد الله ,1388 - 1968 م, أدب الرحلات, الناشر : دار التراث- بيروت- لبنان.

(8) البرقي, حسين بن أحمد, 1424 هـ / 1382 ش, تاريخ الكوفة, ط1, تحقيق: ماجد أحمد العطية / استدراكات السيد محمد صادق آل بحر العلوم, الناشر : انتشارات المكتبة الحيدرية.

(9) العاملي, جعفر مرتضى, 1430 - 2009 م, تخطيط المدن في الإسلام, ط1, الناشر : المركز الإسلامي للدراسات.

(10) هاشم محمد, 1419هـ, شهيد الولاء حجر بن عدي الكندي, ط2, الناشر : المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام, المطبعة : بهمن.

(11) الحر العاملي, محمد بن الحسن, 1414هـ , وسائل الشيعة, ط2, تحقيق : مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث, الناشر : مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث بقم المشرفة, المطبعة : مهر – قم.

(12) الحر العاملي, محمد بن الحسن, 1418 - 1376 ش, الفصول المهمة, ط1, تحقيق : محمد بن محمد الحسين القائيني, الناشر: مؤسسة معارف إسلامي إمام رضا (ع), المطبعة : نگين- قم.

(13) ابن سعد, محمد بن سعد, 1968م, الطبقات الكبرى, ط1, الناشر : دار صادر- بيروت.

(14) The Three Critical Flaws of Critical Geopolitics: Towards a Neo-Classical-Geopolitics".Geopolitics.19:19–39. doi:10.1080/14650045 .2013.803192.

(15) المنجم, إسحاق بن الحسين, 1408 هـ, آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان, ط1, الناشر: عالم الكتب- بيروت.

(16) https://www.marefa.org/.

(17) العاملي, 1422هـ, الانتصار, ط1, الناشر : دار السيرة – بيروت – لبنان.

(18) البدري, سامي جابر, 1433هـ-2012م, الإمام الحسن عليه السلام في مواجهة الانشقاق الأموي, ط1, الناشر: دار الفقه للطباعة والنشر-قم المشرفة.

(19) معرفة, محمد هادي, 1428هـ, التمهيد في علوم القرآن، ط4, الناشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين- قم المقدسة.

(20) الصدر, محمد باقر, 1421هـ, المدرسة القرآنية, ط1, تحقيق: لجنة التحقيق التابعة للمؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر, الناشر: مركز الابحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر- قم, مطبعة: مؤسسة الهدى الدولية للنشر والتوزيع.

(21) ابن زمنين, محمد بن عبد الله، 1423هـ - 2002م , تفسير ابن زمنين, ط1, تحقيق: حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز, الناشر: الفاروق الحديثة, المطبعة: الفاروق الحديثة.

(22) السمعاني, منصور بن محمد, 1418هـ - 1997م, تفسير السمعاني، ط1, تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس, الناشر دار الوطن - الرياض , المطبعة السعودية - دار الوطن – الرياض.

(23) الكليني, محمد بن يعقوب, 1363 ش, الكافي, ط5, الناشر دار الكتب الإسلامية – طهران, تحقيق وتصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري, المطبعة حيدري.

(24) الكوفي, فرات بن إبراهيم, 1410 – 1990 م , تفسير فرات الكوفي, ط1, تحقيق: محمد الكاظم, الناشر : مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي– طهران.

(25) النحاس. أحمد بن محمد, 1409 هـ, معاني القران, ط1, تحقيق: محمد علي الصابوني, الناشر: جامعة أم القرى – مكة المكرمة.

(26) الفخر الرازي. محمد بن عمر , 1420 هـ, التفسير الكبير , ط3, الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(27) ينظر: تفسير العلماء في قوله تعالى:{وما محمد إلا رسول} كتفسير أبي السعود، أبي السعود، وتفسير مجمع البيان الطبرسي، والتفسير البلاغي للاستفهام لعبد العظيم إبراهيم المطعني، والزمخشري في الكشاف وتفسير الميزان، لمحمد حسين الطباطبائي, وروح المعاني للآلوسي.

(28) المطعني, عبد العظيم إبراهيم, 1420–1999م, التفسير البلاغي للاستفهام, ط1, الناشر مكتبة وهبة– القاهرة– مصر.

(29) ابن القيم الجوزية, محمد بن أبي بكر, 1415هـ –1994م , زارد المعاد, ط27, الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت.

(30) البصري, معمر بن أبى عمرو, 1403 هـ, الجامع لمعمر بن راشد,ط2, تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي, الناشر: المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي ببيروت.

(31) الشيباني, أحمد بن حنبل, 1416 هـ – 1995 م, مسند الإمام أحمد بن حنبل,ط1, تحقيق: أحمد محمد شاكر, الناشر: دار الحديث– القاهرة.

(32) ابن أبي شيبة, عبد الله بن محمد, 1997م, مسند ابن أبي شيبة, ط1, تحقيق: عادل بن يوسف العزازي وأحمد بن فريد المزيدي, الناشر: دار الوطن – الرياض.

(33) ابن حبان ، محمد بن حبان, 1414– 1993م , صحيح ابن حبان, ط2, تحقيق: شعيب الأرنؤوط, الناشر: دار الرسالة– بيروت.

(34) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي, 1379, فتح الباري شرح صحيح البخاري, الناشر: دار المعرفة – بيروت.

(35) المتقي الهندي, علي المتقي بن حسام الدين, 1409هـ – 1989 م ,كنز العمال, تحقيق ضبط وتفسير الشيخ بكري حياني و تصحيح وفهرسة الشيخ صفوة السقا, الناشر مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان.

(36) البخاري، محمّد بن إسماعيل, 1422هـ, صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر, ط1, الناشر: دار طوق النجاة.

(37) الذهبي، محمد بن أحمد, ، 1419هـ– 1998م, تذكرة الحفاظ, ط1, الناشر: دار الكتب العلمية– بيروت–لبنان.

(38) مؤسسة دلتا للمعلومات والأنظمة, الفاروق, تحقيق : المشاركون في الإعداد : عبد الحميد البنا – عبد العظيم حلواني – ممدوح عبد الفتاح – فاروق بعلبكي.

(39) لوين, محمد بن سليمان, 1418هـ – 1997م, جزء فيه حديث المصيصي لوين, ط1 تحقيق: أبو عبد الرحمن مسعد بن عبد الحميد السعدني, الناشر: أضواء السلف – الرياض.

(40) المتقي الهندي, كنز العمال, الذهبي, تذكرة الحفاظ, السيوطي, جامع الأحاديث.

(41) ابن عبد البر, يوسف بن عبد الله, 1398, جامع بيان العلم والفضل, طبع ونشر بيروت – دار الكتب العلمية.

(42) ابن سعد, محمد بن سعد, 1968م, الطبقات الكبرى, ط1, الناشر : دار صادر – بيروت.

(43) القرطبي، يوسف بن عبد الله, 1414 هـ – 1994 م , جامع بيان العلم وفضله, ط1, تحقيق: أبي الأشبال الزهيري, الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية.

(44) الدارمي, عبد الله بن عبد الرحمن, 1412 هـ – 2000 م ,سنن الدارمي, ط1, تحقيق : حسين سليم أسد الداراني, الناشر دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية.

(45) البصري, معمر بن أبى عمرو,. 1403 هـ, الجامع لمعمر بن راشد,ط2, تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي, الناشر: المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي ببيروت.

(46) محمد جبار جاسم, سنَّة الخلافة والامامة في القرآن الكريم, مجلة المصباح التابعة للعتبة الحسينية المقدسة, المجلد (18) لسنة: 2014, العدد (16).

(47) البغدادي, أحمد بن علي، سنة الطبع:1974م, تقييد العلم, ط2, تحقيق : يوسف العش, الناشر : دار إحياء السنة النبوية.

(48) الحيدري, كمال باقر, 1433هـ -2112م, منطق فهم القرآن بقلم الدكتور طلال الحسن, ط1, الناشر: دار فراقد, المطبعة: ستاره.

(49) ابن رجب, عبد الرحمن بن احمد, 1417هـ-1996م, فتح الباري, ط1, تحقيق: مجموعة من المحققين, الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة النبوية.

(50) الذهبي, محمد بن أحمد, 1405 هـ / 1985 م, سير أعلام النبلاء,ط3, تحقيق: مجموعة من المحققين, الناشر: مؤسسة الرسالة.

(51) الزلمي والبكري, المدخل لدراسة الشريعة الاسلامية, الناشر: المكتبة القانونية- بغداد-ش المتنبي.

(52) آل عيسى, عبد السلام بن محسن, 1423هـ/2002م, دراسة نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر بن الخطاب وسياسته الإدارية رضي الله عنه, ط1, الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

(53) ابن أبي الحديد المعتزلي, أبي حامد عبد الحميد هبة الله, 1962 م., شرح نهج البلاغة, تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم, الناشر: دار إحياء الكتب العربية-عيسى البابي الحلبي وشركاه.

(54) اليعقوبي, أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر, تاريخ اليعقوبي, الناشر دار صادر - بيروت - لبنان.

(55) محمد سهيل طقوش, 1424هـ-2003م, تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية, ط1, الناشر: دار النفائس

(56). المجلسي, محمد باقر, 1403 - 1983 م, بحار الانوار, ط2, تحقيق يحيى العابدي الزنجاني والسيد كاظم الموسوي الميامومي, الناشر مؤسسة الوفاء - بيروت – لبنان.

ISSN (Paper)-1994-697X (Online)-2706-722X